آيات الكيد في القرآن
(دراسة موضوعية للمصطلح القرآني)

د. عبده محمد علي سحلول *

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فإن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يتفطر قلبه دما لما يعانيه المسلمون من أزماتٍ متلاحقةٍ وفِتَنٍ مُتعاقِبة، وحروب طاحنة أهلكت الحرث والنسل، إضافة إلى ما يكابِدونه من كيد أعدائهم ومكرهم بهم وبدينهم.

ومن المعلوم أن الصراع بين الحق والباطل قديم قِدَم الحقِّ، وهو مستمر وباقٍ إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، وتلك سنة إلهية ثابتة، وقد بلغ ذلك الصراعُ ذروتَهُ في عصرِنَا الحاضر حينما اجتمعت قوى الكفر والضلال على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم في الكيد لهذا الدين وأتباعه، وقد بَصّرَنَا القرآن بحقيقة ذلك الصِّراعِ، وعمل على نفي الشبهات والشكوك التي يلقيها الأعداء، وأخذ الأمة المسلمة بالتثبيت على الحق الذي هي عليه، وأرشدها إلى الأسلوب الأمثل في التصدِّي للأعداء، والوقايةِ من شرورهم.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث من ارتباطه بكتاب الله تعالى، وتناوله لموضوع مهم يتعلق بما يعانيه المسلمون اليوم من تلك الأوضاع المأساوية، ويقدّم الحلول الناجعة لها من خلال القرآن الكريم، حيث يهدف البحث إلى بيان معنى الكيد وأسبابه ودوافعه، والكشف عن أساليب الكفار والطغاة – قديماً وحديثاً – في الكيد

* أستاذ التفسير المساعد بقسمي الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، كلية التربية حجة – جامعة حجة.

لدين الله ولرسله وللمؤمنين، وبيان الأسلوب الأمثل في التصدي لمكائد الأعداء والوقاية من شرورهم، وكيف تحقق وعد الله بإظهار دينه ونَصْر رسله والمؤمنين.

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج العلمي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج، وذلك باستقراء معاني الآيات موضوع البحث من كتب التفسير وغيرها، ثم تحليلها وبيان ما اشتملت عليه من معاني ودلالات، مستشهدا على تلك المعاني بالآيات القرآنية والأحاديث والأقوال المأثورة مع تخريج الأحاديث والآثار وعزو النصوص المقتبسة إلى مصادرها، والاجتهاد في ربط موضوع الآيات بالواقع المعاش واستخلاص الدروس والعِبَر.

واقتضت طبيعة البحث أن أُقَسّمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تحدّثتُ في المقدمة عن أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجية البحث، وخطّته، وفي المبحث الأول بينت: معنى الكيد ودلالاته وأسبابه والفرق بينه وبين المكر والخديعة، وجاء في ثلاثة مطالب، والمبحث الثاني: الكيد أسلوب خبيث في مواجهة حملة الوحي الإلهي، وجاء في خمسة مطالب، والمبحث الثالث: علاج الكيد وسبل الوقاية منه كما جاء في القرآن، وجاء في ثلاثة مطالب، وختمت البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات، سائلا الله تعالى أن يكتب له القبولَ.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وخير داع إلى الصراط المستقيم وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يتفطر قلبه دَماً لما يعانونه من ضعف وهوان وفرقة وخلاف، وما يكابدونه من فتن وحروب، يثيرها ويديرها أعداؤهم الذين يتربصون بهم الدوائر، ويكيدون لهم ويمكرون بهم وبدينهم ليلا ونهارا سرّا وجهارا.

ومن المعلوم أن الصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر والخير والشر قديم قِدَم وجود الحق، وسيستمر ذلك الصراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتلك سنة إلهية ثابتة، فقد تعرض الأنبياء والرسل عليهم السلام – وهم أكرم الخلق على الله – إلى الكيد من أقوامهم والمكر بهم وبما جاؤوا به من الحق، كما مُنِي الإسلام منذ بزوغ فجره بأناس يكيدون له ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد، وطرق

الهدم، ولقد بلغ ذلك الصراعُ ذروتَهُ في عصرِنَا الحاضر بعد أن اجتمعت قوى الكفر مع اختلافِ مِللها ونِحَلِهَا، وتنوُّع أساليبها وَخُطَطِها مِن أَجْلِ الكيدِ لهذا الدينِ والتربُّصِ بهذه الأمة.

وقد بَصّرَنَا القرآن بحقيقة ذلك الصِّراعِ المستمرِّ بين الحقِّ والباطلِ، وكشف لنا أهداف الأعداء وما يضمرونه للمسلمين من شرّ، وحذّرنا من موالاتهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118] وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾ [البقرة: 217]، كما كشف لنا أساليب الكفار والطغاة في كل زمان في الكيد لدين الله ورسله، وأخبرنا بأن الأعداء مهما كادوا فلن يفلحوا لأن كيدهم ضعيف، والله لهم بالمرصاد وسيجازيهم الله على كيدهم بكيد متين لا يمكن دفعه ولا التفطن له، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: 15 – 17] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182-183] وبالتالي تتحقق سنة الله بإظهار دينه ونصر رسله والمؤمنين.

لذا فحري بأمة القرآن اليوم أن تدرك أهداف أعدائها وأساليب كيدهم، وأن ترجع إلى كتاب ربها المبين وتُحكّمه في سائر شؤون حياتها، ففيه المخرَج لِمَا تُقَاسِيهِ الأمة من ضعفٍ وهوان، وما تعانِيهِ من أزماتٍ متلاحقةٍ وفِتَنٍ مُتَعَاقِبَةٍ، وما تكابِدُهُ من كيد ومكر أعدائها المتربصين بها، وأن تقف صفا واحد في التصدي لتلك المكائد، وليتأمل المؤمنون تلك النماذج الإيمانية التي قصّ الله علينا أخبارهم؛ ليستشفوا منها ما يعينهم على مواصلة السير على طريق الحق، ولهم في صبر الأنبياء أسوة وقدوة، وفيما تعرضوا له من الكيد والمكر عزاء وتسلية، وسيجدون معيّة الله ترعاهم، وحفظه يحوطهم، وكل ما يلقونه إنما هو ابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب

أولاً: أهمية البحث وأسباب اختياره: تأتي أهمية هذا البحث وأسباب اختياره في الآتي:

1- أنه مرتبط بكتاب الله المعين الذي لا ينضب.

2- استشعار مدى خطورة هذا الأمر في كل زمان ومكان، ولا سيما اليوم حيث استجدت كثير من القضايا، واختلطت كثير من الأمور على أبناء المسلمين، فلم يعودوا يميزون بين الحق والباطل، وبين الصديق والعدو، في الوقت الذي تتكالب عليهم أمم الكفر من حدب وصوب.

3- تناوله لموضوع مهم يتعلق بأهم المشاكل والمحن التي يعاني منها المسلمون اليوم بسبب كيد أعدائهم ومكرهم بهم وبدينهم.

4- الكشف عن بعض أساليب الأعداء قديما وحديثا في الكيد للمؤمنين، وتقديم الحلول الناجعة لها من خلال القرآن الكريم.

ثانياً: أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1- بيان معنى الكيد ودلالاته وأسبابه ودوافعه.

2- الكشف عن أساليب الكفار والمشركين والطغاة – قديما وحديثا – في الكيد لدين الله ولرسله وللمؤمنين.

3- التأكيد على تحقق وعد الله بإظهار دينه ونَصْر رسله والمؤمنين.

4- بيان الأسلوب الأمثل في التصدّي لمؤامرات الأعداء والوقاية من كيدهم ومكرهم.

ثالثاً: الدراسات السابقة: لقد عرض القرآن موضوع الكيد في آيات عديدة، وقد اجتهد المفسرون في شرح تلك الآيات وبيان معانيها في سياقاتها، كما تناول بعض الباحثين بعض جوانب هذا الموضوع بالدراسة والبحث، ككيد الشيطان وكيد النساء الوارد ذكره في سورة يوسف، إضافة إلى ما كُتِب عن المقارنة بين الكيد والمكر ونظائرهما، وبعد التحري والبحث عمّا كُتِبَ حول هذا الموضوع بشكل مستقل، وجدت عنوان لدراستين علميتين، الأولى: كتاب بعنوان: (آيات الكيد في القرآن دراسة موضوعية) للمؤلف: حسني، حيدر عبدالعزيز إسماعيل الحيالي، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى 2011م، ويتكون الكتاب من 240صفحة، وهو عبارة عن نسخة الكترونية، لم استطع الحصول عليها على الرغم من كثرة المحاولات، والثانية: بحث بعنوان: (دلالات مصطلح الكيد في القرآن الكريم) للباحثين: عودة عبدالله، وزهران زهران، والبحث منشور في مجلة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،

المجلد 31 لعام 2017م، وقد استطعت الحصول عليه، وهو بحث قيّم، إلا أنه تميّز بالإيجاز والاختصار، حيث لم يتناول بعض المواضيع التي تحدثت عنها آيات الكيد كالكيد لهود عليه السلام، ولم يعط موضوع الكيد للإسلام والمسلمين حقه من التوضيح من خلال ربطه بالواقع المعاش للمسلمين اليوم وغير ذلك، وقد استفدت من هذا البحث في استكمال بناء هيكل هذا البحث، وفي عرض بعض فقراته، وبعد الاطلاع على البحث المشار إليه ازدادت رغبتي في استكمال بحثي الذي يختلف عن بحث (دلالات مصطلح الكيد القرآن) في العديد من العناوين التي تناولتها، وفي أسلوب العرض والشرح والتمثيل، وكذا في ربط الموضوع بالواقع المعاش واستخلاص الدروس والعبر.

رابعاً: منهجية البحث: لقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء معاني الآيات موضوع البحث من كتب التفسير وغيرها من الكتب ذات الصِّلة. وعلى **المنهج التحليلي:** وذلك بتحليل الآيات وبيان ما اشتملت عليه من معاني ودلالات، مستشهدا على تلك المعاني بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة مع تخريج الأحاديث والآثار وعزو الأقوال إلى قائليها والنصوص المقتبسة إلى مصادرها، ذاكرا بيانات المصدر كاملة عند أول وروده، وقد خرّجت الآيات في المتن عقب ذكر الآية أو الآيات حرصاً على عدم إثقال البحث بكثرة الحواشي. **وكما استفدت من المنهج الاستنتاجي:** من خلال الاجتهاد في ربط موضوع الآيات بالواقع المعاش لاستخلاص الفوائد والدروس والعِبَر، وقد جعلت البحث بعنوان: **آيات الكيد في القرآن "دراسة موضوعية للمصطلح القرآني"**. وعند التأمل في الآيات الواردة في الكيد ومعانيها في سياقاتها المختلفة نجدها تمثّل موضوعا متكاملا؛ حيث تُبيّن معاني الكيد ودلالاته وأسبابه ودوافعه، وتَعْرِضْ نماذجا عديدة لأساليب كيد الكفار والمشركين للرُّسِل ولِمَا جاءوا به من الحق، كما ترشِدنا إلى علاج الكيد وسُبل الوقاية منه، وهذا ما يهدف البحثُ إلى بيانه.

خامساً: خطة البحث: لقد اقتضت طبيعة البحث أن أُقَسّمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تحدّثتُ فيها عن أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطّته.

المبحث الأول: معنى الكيد ودلالاته وأسبابه والفرق بينه وبين المكر والخديعة، وجاء في ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: الكيد أسلوب خبيث في مواجهة حملة الوحي الإلهي، وجاء في خمسة مطالب.

المبحث الثالث: علاج الكيد وسبل الوقاية منه كما جاء في القرآن الكريم، وجاء في ثلاثة مطالب.

الخاتمة: تضمّنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: معنى الكيد ودلالاته وأسبابه والفرق بينه وبين المكر والخديعة:

المطلب الأول: معنى الكيد وأقسامه ودلالاته:

أولاً: معنى الكيد لغة:

الكَيْدُ لغة: مصدر من كاد يَكِيد كَيْداً ومَكِيدَةً، والجمع: كيود، ومكايد، قال المتَنبِّي:

واسْتَجَرُّوا مكايدَ الحَربِ حتّى ... تَرَكوها لَها عليهمْ وَبَالاً[1].

وأَصْلُ الكيد: المشَقَّة، وكلُّ شيء تعالجُه فأَنت تَكِيدُه، قال ابن فارس: **(كيد)** الكاف والياء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على معالجةٍ لشيء بشدّة، ثم يتّسع الباب، وكلّه راجعٌ إلى هذا الأصل. يقال: تَكَاءَدَتْهُ الأمورُ: إذا شَقَّتْ عليه، وفلان يكيد بنَفْسِه أيْ: يقاسي المشَقَّة عند خروج روحه، وعَقَبَةٌ كؤودٌ أيْ: ذاتُ مَشَقَّةٍ. والكيّاد: الكثير الكيد، وتَكايد: تَشَدّد، وبه فَسَّر السكَّرِيُّ قولَ أَبي ضَبَّةَ الهُذَلِيّ:

لَقَّيْتُ لَبَّتَه السِّنانَ فَكَبَّه ... مِنِّي تَكايُدُ طَعْنَة وتَأَيُّدُ

وكاد من أفعال المقاربة، يقال: كاد يفعل كذا أي: قارَبَ وهَمَّ. وقولهم: لا أفعل ذلك لا كَيْداً ولا هَمًّا. أي: لا أُكَادُ ولا أُهَمُّ [2]

ويمكن إيضاح معاني الكَيْدُ في اللغة والقرآن فيما يلي:

1- الكَيْدُ: المَكْرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 183، والقلم:45] قال ابن عباس: يريد إن مكري شديد. وقد جاء هذا المعنى في قول صفوان الأنصاري:

رجال دعاة لا يفلّ عزيمَهم... تهكُّمُ جبارٍ ولا كيدُ ماكِرِ[3]

2- الكَيْدُ: الاحتيالُ، وبه فُسِّر قَولَه تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه:60] أي: جمع أهل حِيلته. وقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾ [يوسف:5] أَيْ: فيحتالوا لك ولإهلاكك حيلة وكيدا عظيما. ولذا سُمِّيَتْ

الحَرْبُ كَيْداً لاحتيالِ الناسِ فيها، وفي حديث ابن عمر أَنَّ رسول الله ﷺ (غَزَا غَزْوَةَ كَذَا فرجَع ولم يَلْقَ كَيْداً) أي: حَرْباً[4]، وهو مجاز، ومنه كَيْد العدو، قال الشاعر:

ستلقى من عدوِّك كلَّ كَيدٍ... إذا كاد العدو ولم تَكِدْه [5].

وقال الراغب: الكيد ضَرْبٌ من الاحتيال، ويكون محمودا ومذموما، وإن كان استعماله في المذموم أكثر[6].

3- العذاب: وبه فسّر أيضا قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 183، والقلم: 45] أي: عذابي شديد.

4- القتل: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42] والمراد بكيدهم: تآمرهم وتدبيرهم قتل النبي ﷺ، وقوله: (هُمُ الْمَكِيدُونَ) أي: هم المقتولون ببدر، من كايدته فكدته.

5- الكَيْدُ: التدبير بباطلٍ أَو حَقٍّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق:15-16] قال ابن عاشور: الكيد: إخفاء قصْد الضّر وإظهار خِلافه، فكيدهم (أي: كيد الكفار للمؤمنين) مستعمَل في حقيقته، وأمّا الكيد المسنَد إلى ضمير الجلالة فهو مُستعمَل في الإمهال مع إرادة الانتقام عند وجود ما تقتضيه الحكمة من إنزاله بهم[7]، فهو تدبير من الله بالحق لمجازاة أعمال الخَلْقِ كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: 76].

6- الكَيْدُ: إرادة السوء، تقول: كِدْتُ الرجُل أكِيده إذا أردته بِسُوء، وبه فُسِّرَ قولُه تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] ومنه أيضاً قول الشاعر:

مَنْ يَكِدْني بسَيِّءٍ كنتُ مِنهُ... كالشَّجا بين حَلْقِهِ والوَرِيد[8].

وفي الأثر عن عَمْرو بن العاص وقد سُئلَ عن سبب عبادتهم للأصنام في الجاهلية مع رجاحة عقولهم، فقال: (ما قَوْلُكَ في عُقُولٍ كادَهَا خَالِقُها؟!) أيْ: أرادَهَا بِسُوء[9]. وقد يُطْلَق الكيد على مُطْلَق إرادة الفعل، كقول الشاعر:

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خَيرُ إرادةٍ لو كانَ مِنْ لَهْوِ الصَّبابةِ ما مَضَى [10].

7- ومن معاني الكَيْد: النَّزْع والمشقّة عند خروج الرُّوح، وهو مجَاز، يقال: هو يَكِيدُ بنفْسِه كيداً أيْ: يقاسي المشَقَّة عند نَزْع روحه وقُرْب موته، وفي الحديث ((أَنَّ النبيّ ﷺ دَخَلَ على سَعْدِ بن مُعَاذٍ وهو يَكِيدُ بِنَفْسِه، فقال: جَزَاكَ الله مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ فقد صَدقْتَ اللهَ ما وعَدْتَه، وهو صادقُك ما وعَدَك)) [11] ومن ذلك قول ذي الرمة:

كأني غداة الزُّرق يا مَيّ مُدنَفٌ... يكيدُ بنَفْسٍ قد أحمَّ حِمامُها[12]

ومن معاني **الكَيْدُ: الحَيْضُ**، يقال: كادَت المرْأَةُ تَكِيد كَيْداً: إذا حَاضَتْ، ومنه ما روي عن ابنِ عبَّاس (أَنه نَظَر إِلى جَوَارٍ قَدْ كِدْنَ في الطَّرِيقِ فَأَمَر أَن يُنَحَّيْنَ) [13] معناه: حِضْنَ في الطَّرِيقِ، ويأتي **الكَيْدُ** – أيضا – بمعنى: **القَيْءُ**. يقال: كَادَ الرجُلُ إذا قَاءَ. **والكَيْدُ**: إخرَاجُ الزَّنْدِ النَّار ببطءٍ وشِدّةٍ، **والكَيْدُ**: اجْتِهَادُ الغُرَابِ في صِياحِه[14].

ثانياً: معنى الكيد اصطلاحا: إن المتأمل في موارد الكيد في القرآن الكريم ومعانيها تتجلّى له حقائق ومنها:

أ- اطّراد حضور المعنى اللغوي: (المِكْرُ، والاحتيال، والعذاب، والقتل، وإرادة السوء، والتدبير بباطل أو حق، والاستدراج والإمهال، والمجازاة من الله بالحق) في السياقات القرآنية التي ورد فيها لفظ الكيد، مع زيادة في الدلالة تختلف باختلاف السياق، وذكر الدامغاني أن الكيد في القرآن الكريم يأتي على سبعة أوجه: (العذاب، القتل، المكر، الحيلة، الصُّنْع، الحرق بالنار، الخنق) [15].

ب- ضرورة التمييز بين كيد الله وكيد الإنسان، وبالتالي وجوب تحديد المعاني الاصطلاحية للفظ الكيد بناء على هذا التمييز.

وعلى هذا فقد عَرَّف الجرجاني **الكيدَ** بأنه: إرادة مضرة الغير خُفْية، وهو مِن الخَلْقِ الحِيلة السيّئة، ومن الله التدبيرُ بالحق لمجازاة أعمال الخَلْق[16]. وقال الشعراوي: **الكيد**: تدبير خفيّ للعدو حتى لا يشعر بما يُدَبَّرُ له فيحتاط للأمر، والكيد يكون لصالح الشيء ويكون ضدّه [17]. وتعريف الجرجاني هو الأنسب والأشمل.

ثالثاً: أقسام الكيد: مما تقدّم في تعريف الكيد، نجد أن الكيد من الله خِلافه من الناس، فالكيد المنسوب للإنسان في مفهوم القرآن ينقسم إلى قسمين: مذموم ومحمود؛ **فالمذموم منه**: هو نوع من التدبير

الخفي السيء الذي يتخذه أهل الباطل لمحاربة الحق وأهله، والإيقاع بهم والنيل منهم، ويدخل في هذا النوع كيد الشيطان، أي: تدبيره ووسوسته لأتْباعه بالاعتداء على المؤمنين وتأليب الناس عليهم. **أمّا المحمود منه:** فهو الأسلوب الذي يتخذه أهل الحق في إبطال حُجّة الكفار والطغاة والمعاندين، أو في منع ظُلم، أو استرداد حق، أو الكيد بالكفار في الحرب، أي: اتخاذ التدابير الخفية للإيقاع بهم، فهذا جائز، والحرب خُدْعة، وفي غزوة بدر قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أَمَنْزِل أَنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: ((بل هو الرأي والحرب والمكيدة)) فقال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم (قريش) فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوِّر ما وراءه من القُلُبِ، ثم نبني عليه حوضًا، فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون...))[18]، وقد استخدم المسلمون في غزوة الأحزاب مكيدة تمنع المشركين من اقتحام المدينة حينما حفروا خندق حول المدينة حسب مشورة سلمان الفارسي عمّا يعمله الفرس في حروبهم، وقد تفاجأ المشركون عند رؤيتهم لذلك الخندق فقالوا: (والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها!) [19]. وفي المثل: "الكَيْدُ أَبلَغُ من الأيْد" (والأَيْدُ: القوة والشدة)، وقيل: "المكيدة أَبْلَغُ مِن النَّجْدَة" [20].

أما كيد الله فهو كُلُّه محمود؛ لأنه التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق، فهو عدل وحِكْمَة، فهو يكيد بالكافرين كيدا حقيقيا ويدبّر تدبيرا خفيا مجازاة لهم بالعدل على كيدهم لدينه ولرُسله وللمؤمنين. أما كيد الله تعالى لصالح عبده المؤمن فلا يخرج عن نوعين كما ذكر ابن قيم الجوزية: **أحدهما:** – وهو الأغلب – أن يفعل تعالى فعلا خارجا عن قدرة العبد الذي كاد له، كما كاد أعداء الرّسل بانتقامه منهم بأنواع العقوبات، وكذلك كان كيده لصالح يوسف عليه السلام. **والنوع الثاني:** هو أن يُلهِمَه تعالى أمرا مباحا أو مستحبًّا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون على هذا إلهامه ليوسف أن يفعل ما فعل هو من كيده تعالى أيضا، فيكون قد كاد له نوعي الكيد، وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع، لكن لا يجوز أن يراد به الكيد الذي تُسْتَحَلُّ به المحرمات أو تَسقط به الواجبات، فإن هذا كيد لله ولدينه، ومحال أن يشرع الله سبحانه هذا النوع من الكيد [21].

رابعا: ورود الكيد في القرآن ودلالاته: لقد ورد لفظ الكيد ومشتقّاته في القرآن خمساً وثلاثين مرّة، في تسع وعشرين آية، في ستة عشر سورة، منها: أربع مرات في أربع سور مدنية، والباقي في السّور المكيّة، والجدول التالي يوضح ذلك:

المفردة ومرّات ورودها	م	الآية/ الشاهد	السورة	الآية	مكية/ مدنية
كدنا (مرة واحد)	1	كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ	يوسف	76	مكية
أكيد (مرة واحد)	2	وَأَكِيدُ كَيْدًا	الطارق	16	مكية
لأكيدنّ (مرة واحد)	3	وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم	الأنبياء	57	مكية
فيكيدوا (مرة واحد)	4	فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا	يوسف	5	مكية
يكيدون (مرة واحد)	5	إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا	الطارق	15	مكية
كيدون (مرتان)	6	ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ	الأعراف	195	مكية
	7	فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ	المرسلات	39	مكية
كيدوني (مرة واحد)	8	فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ	هود	55	مكية
كيد (سبع مرات)	9	إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا	النساء	76	مدنية
	10	وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ	الأنفال	18	مدنية
	11	أَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ	يوسف	52	مكية
	12	إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ	طه	69	مكية
	13	وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ	غافر	25	مكية
	14	وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ	غافر	37	مكية
	15	فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ	المرسلات	39	مكية
كيدا (ست مرات)	16	فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا	يوسف	5	مكية
	17	وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ	الأنبياء	70	مكية
	18	فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ	الصافات	98	مكية
	19	أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا	الطور	42	مكية

	20	إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا	الطارق	15	مكية
	21	وَأَكِيدُ كَيْدًا	الطارق	16	مكية
كيدكم (مرة واحد)	22	فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا	طه	64	مكية
كيدكن (مرتان)	23	إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ	يوسف	28	مكية
	24	إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ	يوسف	28	مكية
كيده (مرتان)	25	فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ	طه	60	مكية
	26	هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ	الحج	15	مدنية
كيدهم	27	لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا	آل عمران	120	مدنية
(ثلاث مرات)	28	يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا	الطور	46	مكية
	29	أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ	الفيل	2	مكية
كيدهن	30	وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ	يوسف	33	مكية
(ثلاث مرات)	31	فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ	يوسف	34	مكية
	32	إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ	يوسف	50	مكية
كيدي (مرتان)	33	وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ	الأعراف	183	مكية
	34	وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ	القلم	45	مكية
المكيدون (مرة واحدة)	35	فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ	الطور	42	مكية

وعند التأمل في الآيات الواردة في الكيد وسياقاتها يمكن استنباط العديد من الدلالات أهمها ما يلي:

1- إن كثرة ورود الكيد في السوّر المكّية يصوّر تلك الحملة الشرسة التي شنّها أعداء الاسلام في الكيد لهذا الدِّين سرًّا وعلانية لمحاولة النيل منه في أول عهده، وكيف تراجعت تلك الحملة وخَفَّتْ وطأتها في المدينة لَمَّا قَوِيَت شوكة المسلمين، وهذا يبيّن طبيعة ذلك الصراع، فكلّما ضَعُفَ المسلمون زاد كيد الأعداء لهذا الدين والعكس.

2- في السور المكّية – أيضا – كثرة ورود قصص وأخبار الرسل السابقين الذين تعرضوا لحملات كيد ماكرة من أقوامهم، وكيف صبروا حتى تحقّق لهم النصر من الله، وفي ذلك تسلية من الله تعالى لرسوله ﷺ

لئلا يحزن مما يلاقيه من تكذيب قومه وإيذائهم له وصدّهم عن سبيل الله، وأن ذلك هو ديدن الكفار والطغاة مع أنبيائهم، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 33 – 34]، وفيه أيضا عزاء وتسلية للمؤمنين في كل زمان ومكان وتَسْرِية عنهم فيما يلاقوه من كيد وأذى لئلا ييأسوا من نصر الله وتمكينه لهم، فتلك سنة الله في الخَلْق التي لا تتبدل ولا تتحول.

3- في السّوَر المدنية بشارة وتطمين للمؤمنين بضعف كيد أعدائهم، وإرشاد لهم إلى كيفية اتقاء كيد الأعداء.

4- لم يوصَف المؤمنون بالكيد، ولم يُنسب إليهم إلا في موضع واحد جاء على لسان إبراهيم حينما عزم على تكسير الأصنام التي يعبُدها قومه فقال: ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] وذلك رغبة منه في هداية قومه، وتقديم الدليل العملي على بطلان ما هم عليه عاكفون من عبادة أصنام عاجزة عن الدفاع عن نفسها فكيف تنفع غيرها؟! وهذا يشير إلى سمو أخلاق المؤمنين ورسالتهم في الوجود، فالمؤمن يتميّز بالوضوح والصدق ولا يلجأ إلى وسائل غير مشروعة في دعوته ومعاملاته مع سائر الناس، ولكن إذا ما تعرّض المؤمن لكيد أعداء الله له وظُلْمهم وبَغْيِهم عليه، فله أن يستخدم الأسلوب المشروع المناسب لصدّ عدوانٍ، أو دَفْع ضررٍ، أو استرداد حقٍ، وبدون تجاوز أو طغيان، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 41].

المطلب الثاني: الفرق بين الكيد والمكر والخديعة:

أولا: الفرق بين الكيد والمكر: المكر: هو صرف الغير عمّا يقصده بحيلة، وذلك ضربان؛ محمود: وهو أن يتحرى به فعل جميل، ومذموم: وهو أن يتحرى به فعل قبيح[22]، والمتأمل في دلالة الآيات القرآنية يجد أن الكيد والمكر يشتركان في بعض الوجوه ويختلفان في أخرى؛ فهما يشتركان في أنَّ كلا منهما لا يكون إلا مع تدبُّر ونَظَر وفِكْر، قال ابن عاشور- وهو يتحدث عن معانى الكيد -: وظاهرها أنه يرادف المكر والحيلة، ويختلفان من بعض الوجوه، ومنها:

1- أن الكيد أقوى من المكر، والشاهد أنه يتعدى بنفسه فيقال: كاده يكيده، والمكر يتعدى بحرف فيقال: مَكَرَ به، ولا يقال: مَكَرَه. والذي يتعدى بنفسه أقوى.

2- **الكيد**: اسم لإيقاع المكروه بالغير قهرا سواء عَلِمَ أَوْ لا، والشاهد قولك: فلان يكايدني، فَسُمِّيَ فِعلُه كيدا وإنْ عَلِمَ به، ولهذا سَمَّى اللهُ عملَ أصحاب الفيل كيدا في قوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2] لأنه كان على وجه القهر. **والمكر**: تقدير ضرر الغير من غير أنْ يُعْلِمَه به.

3- يجوز أنْ يقال: **الكيد**: ما يَقْرُبُ وقوع المقصود به من المكروه. **والمكر**: ما يجتمع به المكروه، من قولك جارية ممكورة الخَلْق، أيْ: مُلْتَفَّة مجتمعة اللحم غير رَهِلة[23].

ثانياً: الفرق بين الكيد والخديعة: يختلف الكيد عن الخديعة في أن **الكيد**: اسم لفعل المكروه بالغير قهرا سواء عَلِم أو لم يعلم. **والخديعة**: اسم لفعل المكروه بالغير من غير قهر، بل بأن يوهمه بأنه يريد أنْ ينفعه، ومنه الخديعة في المعاملة [24] وفي صحيح البخاري أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: ((الحَرْبُ خُدْعَةٌ)) [25] و(خُدْعَة) المرّة الواحدة من الخداع، ومعناه: استعمل الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحِيَلُ فقاتل.

المطلب الثالث: أسباب الكيد ودوافعه:

إن المتأمل في الآيات موضوع البحث والسياقات القرآنية الواردة فيها يجد أن للكيد أسباباً ودوافعا عديدة، أهمها:

1- الكفر والشرك بالله تعالى: وهذا أهم الأسباب التي دفعت الناس إلى مواجهة الأنبياء والرسل والكيد لهم ولِما جاءوا به من الحق، وقد بَيّن الله لنا في العديد من الآيات أساليب كيدهم ومكرهم في الصّد عن سبيل الله، وكيف كان مصيرهم حيث كادهم الله فأهلكهم وأظهر دينه ونَصَر رسله كما سيأتي.

2- الحسد: وهو داء وبيل يدخل الشيطان من خلاله، وقد كان الحسد السببَ في عداوة ابليس وكيده لأبينا آدم، وكان السبب في كيد إخوة يوسف ليوسف، وهو أيضا من أهم أسباب كيد الكفار والمشركين للأنبياء والرسل وللمؤمنين في كل زمان، والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109] وقوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

3- طاعة الشيطان واتّباع خطواته: إن عداوة الشيطان للإنسان قديمة قدم وجود الإنسان، حيث قعد له بكل طريق يُزيّن له المعصية ويصدّه عن الطاعة، وقد بيّن الله لنا في العديد من الآيات عداوة الشيطان وأساليب كيده في اغواء الناس واضلالهم، وحذّرنا من طاعته ومن اتباع خطواته.

4- العجز عن مقارعة الحُجّة بالحُجّة: حينما عجز الكفار والطغاة عن دحض وإبطال ما جاء به الأنبياء والرسل من الآيات والحجج والبراهين المؤيدة لصدقهم فيما يَدْعون إليه من الحق، لجأوا إلى تدبير المكائد لدين الله ولرسله لينصروا ما هم عليه من سَفَهٍ وطغيان، كما عمل نمرود مع إبراهيم، وفرعون مع موسى...وهكذا يعمل الطغاة مع الدعاة في كل زمان.

5- التسلّط وحبّ الرئاسة والجاه: وهذا أيضا من أهم الأسباب التي دفعت كثيرا من الطغاة إلى الكيد للأنبياء والرسل للتخلّص منهم ومما جاءوا به من الحق، وذلك خوفا على سلطانهم وجاههم، ويأتي فرعون في مقدمة أولئك الطغاة، حيث أصبح مضرب المثل في الكفر والطغيان والاستكبار.

ومن أسباب الكيد – أيضا –: اتباع الهوى، والمجازاة من الله بالحق، كما في قصة يوسف، وسيأتي توضيح هذه الأسباب وغيرها مع ذكر الأمثلة والشواهد في المبحث التالي.

المبحث الثاني: الكيد أسلوب خبيث في مواجهة حَمَلة الوحي الإلهي:

إن الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر قديم قِدَم وجود الإنسان، وتلك سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد قصّ الله علينا من أخبار الرُّسل في معرض دعوتهم لأقوامهم إلى توحيد الله ما لاقوه في سبيل ذلك من أساليب الكيد والمكر بهم وبما جاءوا به من الحق، وكيف صبروا حتى تحقق لهم وعد الله بإظهار دينه ونَصْر رسله، وتحققت سنته الثابتة في إهلاك الكفار والمشركين والطغاة، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ وتثبيتا لقلبه للقيام بأعباء الرسالة؛ ليتأسى بهم في الصبر على ما يلاقيه من كيد الكفار والمشركين حتى يتحقق له وعد الله قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120] وفي هذا المبحث سنقتصر على بيان ما تعرّض له خمسة من الرُّسل من أساليب الكيد، وهم: هود وإبراهيم ويوسف وموسى ومحمد عليهم السلام؛ لنستشف من ذلك

الدروس والعبر التي تعيننا اليوم على كشف أساليب كيد الأعداء وكيفية التّصدي لمكائدهم والوقاية من شرورهم.

المطلب الأول: كيد المشركين لهود عليه السلام:

أرسل الله تعالى هودا عليه السلام إلى قومه عاد[26] فدعاهم إلى عبادة الله وحده وعدم الاشراك به شيئا، وقد ذكّرهم بآلاء الله الكثيرة عليهم، ورغّبهم في الايمان بالله وطاعته، ووعدهم على ذلك خَيرَي الدنيا والآخرة، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وأصروا على الشّرك والجحود، واتهموه بالسفاهة والجنون، وقابلوا نصحه ووعظَه بالاستهزاء والسخرية، وتخويفه وانذاره لهم من عذاب الله بالتحدي واستعجال وقوع العذاب وانكار وقوعه، فأهلكهم الله جزاء كفرهم وجعلهم أثرا بعد عين، ونجّا الله هودا والذين آمنوا معه، وقد ذكر الله قصة هود في مواضع عديدة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ. يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ. وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ. قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. مِن دُونِهِ **فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 50 – 57] لقد أنكر قوم هود الآيات البينات التي أيد الله بها هودا فقالوا: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: حجة وبرهان على صدق دعوتك. وهذا كذب وبهتان؛ لأنه أتاهم بآيات معجزات فجحدوا بها كما أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:59] وإن كان القرآن لم يذكر آية معينة لهود عليه السلام، **ولعل آيته** أنه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد وفرة مُطّردة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] وقد أيّد اللهُ تعالى جميع رسله بالآيات البيّنة والحُجَج الواضحة الدالة على صدقهم فيما يدعون إليه، وكان لكل منهم معجزة

خاصة تتناسب مع ما اشتهر به قومه، كما يستشف من الآيات، وكما قال النبي ﷺ: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة))[27].

ولم يكتف قوم هود عليه السلام بإنكار الآيات البينات، بل أصرّوا على الشرك، وعملوا على تدبير المكائد لصدّ الناس عن الايمان، ومحاولة التخلص من نبيهم ومن دعوته ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ...﴾ [هود: 53 – 54] فأعلن هود براءته مما يشركون به من دون الله، وأشهد الله على ذلك، وأمرهم بأن يَشهدوا على تلك البراءة استهانة بهم وبأصنامهم، ثم طلب منهم الاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا والاجتهاد في إيصال الكيد إليه من غير امهال؛ ثقة منه في حفظ الله له من كيدهم وتآمرهم ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 54 – 56] فغلبهم بتلك الحجّة، وظهر عجزهم وعجز آلهتهم وانقلبوا صاغرين.

وكذا أعلن سائر الرُّسل براءتهم من شرك أقوامهم وتحدّوهم أن يجتمعوا وشركاؤهم في الكيد لهم والاضرار بهم توكّلا منهم على الله وثقة بحفظه لهم من كيد الكائدين، فقد قال نوح لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس:71]، وإبراهيمَ ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الانعام: 80] وتحدى محمد ﷺ مشركي قريش بأمر الله: ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:195]

ولما حَجَبَ قوم هود منافذ الهدى على أنفسهم، ولم تبقَ فائدة في الدعوة والنصح، والتخويف والانذار، عند ذلك أحلّ الله تعالى بهم نقمته وعذابه، ونجّا الله هودا والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود:58] فتحقق وعد الله وسنته في نصر رسله والمؤمنين، وأهلاك المشركين والطغاة[28]

لقد أهلك الله قوم عاد الطغاة ذَوُوا القوة والبأس والحضارة العريقة، ولم يمنعهم من بأس الله وعذابه لا قوّتهم التي تباهوا بها، ولا قصورهم وحضارتهم التي شيدوها، بل أصبحوا أثرا بعد عين، وصاروا عبرة وآية لكل معتبر قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:6 – 8] فهل يتّعظ ويعتبر اليوم الطغاة من أصحاب الحضارات المادية الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، وتمرّدوا على الشرائع والأخلاق والأعراف والقوانين، واستخدموا ما أنعم الله به عليهم من قوة وسلطان في تدمير الشعوب المستضعفة، وكأنهم يقولون بلسان الحال أو المقال كما قال قوم هود: (من أشد منا قوة؟!)

المطلب الثاني: كيد الكفار لإبراهيم عليه السلام:

لقد وردت قصة إبراهيم عليه السلام في أكثر من أحد عشر سورة، وبيّنت الآيات مدى الجُهد الذي بذله إبراهيم في دعوته لقومه وتبليغ رسالة ربه إليهم، والأساليب والحُجَج والبراهين التي أيّده الله بها لإقناع قومه بصدق ما يدعو إليه، وبطلان ما هم عليه عاكفون من عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع، وما لاقاه من قومه من جحود وإصرار على الشرك بالله وصدٍّ عن سبيله، ومُحاجّة بشُبَهٍ من القول حتى من أقرب الناس إليه – وهو أبوه –، وكيف تطوّرت تلك المحاجّة إلى أن وصَلَتْ إلى أعلى هرم في السلطة آنذاك وهو (الملك[29]) حيث ظهرت حُجّة إبراهيم على أبيه وقومه، ثم على الملك حينما أفحمه وغَلَبه بالدليل القاطع فبُهِتَ الملكُ وبان عَجْزُه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

فلما ظهر عَجْزُهم وتهافُتُ حُجَجهم لجأوا إلى تخويف إبراهيم من انتقام آلهتهم منه، فأبطل تلك المزاعم التي يخوّفون بها البسطاء من الناس، مُعلنًا عدم خوفه من تلك الآلهة الصماء التي يعبدونها من دون الله، وتحداهم وآلهتهم أن يكيدوه، فغَلَبَهم بتلك الحُجّة التي علّمه الله تعالى إياها ورفع بها شأنه، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ

سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ. وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم﴾ [الأنعام: 80 – 83]

وحينما رأى إبراهيم عدم جدوى تلك الحُجج والبراهين النظرية في اقناع قومه ببطلان ما هم عليه عاكفون من عبادة الأصنام، أراد أن يقدّم لهم دليلا عمليًّا على عجز آلهتهم عن حماية نفسها، فكيف بغيرها؟! فعزم على تحطيم تلك الأصنام بعد أن يذهب قومه إلى عيدهم السنوي، فقال: ﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 57 – 58] والمراد بالكيد هنا: الاجتهاد في كسر الأصنام. وقد اختُلف في عددها، فقيل: كان عددها سبعين صنماً مصطفّة يتوَسَّطها صنم عظيم، وقيل: غير ذلك، وبعد أن كسّرها جعل الفأس في رقبة الصنم الأكبر استهزاء بهم [30].

ولما عاد القوم من عيدهم متوجّهين إلى المعبد كانت المفاجأة!، لقد وجدوا تلك الآلهة الصماء التي يعكفون على عبادتها محطّمة عدا الصنم الأكبر فاشتاطوا غضبا، ودعا الملك إلى اجتماع طارئ لكبار مسؤولي مملكته لمناقشة ذلك الأمر الجَلل، وشُكّلت لجانٌ للتحقيق والتقصّي بحثا عن الجاني ليتم معاقبته، وأثناء التحقيق مع بعض الأشخاص ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60] فقرّروا إحضار إبراهيم واجراء محاكمة علنيّة عاجلة له؛ ليَشهَدَ الناس على فعلته، وتكون شهادتهم عليه حجّة لأولئك الطغاة للتّخلّص منه ومما يدعو إليه ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ وتبدأ تلك المحاكمة العلنيّة ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنَا يا إبراهيم؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُون. فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُون. ثُمَّ نُكِسُواْ على رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلاء يَنطِقُونَ!﴾ فرأى إبراهيم الفرصة سانحة لإلزامهم الحُجّة ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾؟! [الأنبياء: 61 –67] فغلبهم إبراهيم بقوة حُجّته، وظهر عجزهم أمام الملأ، وهنا قرّروا – كما هي عادة الطغاة عندما تُعجِزهم الحُجّة – التخلّص من إبراهيم لتغطية عجزهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

الأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات:97- 98] قال الطبري: أي: فجعلنا قوم إبراهيم الأذلين حجّة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة[31] لقد ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68] ولكن كلمة أخرى قد قيلت فأبطلت كل قول، وأحبطت كل كيد، إنها كلمة الله التي لا تُرَد ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 69–70] إنها كلمة من بيده مقاليد السماوات والأرض ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم[32]، وأصبحت حُجّة قاطعة ومعجزة مؤيدة لصدقه فيما يدعو إليه، وانقلب قومه صاغرين ذليلين بعد أن ظهر للناس عجزهم وآلهتهم عن الحاق الضرر به، وبذا تحقق له النصر على قومه بقوة الحُجّة والدليل القاطع والبرهان الساطع أمام الملأ، والنصر بقوة الحُجّة من أهم وسائل انتصار الدين وظهوره.

ونستفيد من هذه القصة أن ارتباط العبد بالله وحُسْن توكّله عليه سبب لحفظ الله له، فإبراهيم عليه السلام اجتمع عليه قومه ومعهم النمرود وقرّروا التّخلّص منه، وأعدّوا الخطط المحكَمة، واستقصوا كافة الأسباب الممكنة في الكيد له، وألقوه في تلك النار العظيمة الاتقاد العالية اللّهب، فحفظه الله من كيدهم، وفي ذلك تسلية ومواساة للنبي ﷺ فيما كان يلاقيه من تكذيب وإيذاء قومه وصدّهم عن سبيل الله، وبشارة له وللمؤمنين في كل زمان بالنصر والتأييد والحفظ من كيد الأعداء، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: ((يا غلام إني مُعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام وجَفَّت الصُّحُف))[33].

والمتأمل في ختام سرد هذه القصة في سورتي الأنبياء والصافات – مع أنها واحدة – يلحظ دقة التعبير القرآني، ففي الأنبياء قال: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ وفي الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ حيث خُتِمَت كل آية باللفظ المناسب للسياق الذي وردت فيه، فقد ذُكِر في الأنبياء المحاجّة التي يكون فيها رابح وخاسر، وفيها التصريح بأنهم أرادوا بإحراقه الانتصار لآلهتهم، فانتصر له ربه فأنجاه من النار وأظهر حُجّته عليهم وتلك خسارة كبيرة لهم، فناسب ختمها بـ (الأَخْسَرِينَ)، بينما ذُكِر في

الصافات البنيان والالقاء في جحيم النار المستعرة، فإلقاؤه سيكون إلى أسفل ذلك البناء، فناسب ختمها بـ(الأَسْفَلِينَ).

المطلب الثالث: الكيد ليوسف عليه السلام:

لقد وردت قصة يوسف عليه السلام في سورة واحدة سُمِّيَتْ باسمه، ولم يتكرر ورودها في غيرها من السور كما هو شأن كثير من قصص الأنبياء والرُّسل، وقد وصَفَ الله هذه القصة بأحسن القصص فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3] والسبب في ذلك كما قال بعض العلماء: هو أن ما في هذه السورة من القصص يتضمّن من العِبَر والمواعِظِ والحِكَم ما لم يكن في غيرها [34]، ففي قصة يوسف ألوان من الشدائد والابتلاءات، وفيها – أيضا – ألوان من المغريات، وفتن الاغراءات أكبر من المِحَن الأخرى، فإنه لا يصبر عليها إلا أولو العزم وأولو الورع الجَمّ، وقد اجتمع ليوسف عليه السلام الصنفان من الصبر فخرج منهما غانما منتصرا[35]، قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ)) [36].

والمتأمل في قصة يوسف يجد أنه قد تَعَرَّض لمكائد عديدة منذ نعومة أظفاره، ولكن رعاية الله كانت تحوطه في كل مرّة فيخرج سالما منتصرا، وفيما يلي توضيح لأنواع وأساليب الكيد الذي تَعَرَّض له يوسف.

أولا: كيد إخوة يوسف له: هذه هي المحنة الأولى في حياة يوسف، حيث تآمَرَ إخوته على الكيد له بدافع الغيرة والحسد؛ للتفريق بينه وبين أبيه، وأول ما يطالعنا من قصة يوسف ذِكْر رؤياه لأبيه، وهو في مرحلة مبكرة من العمر (12 سنة حسب أرجح الأقوال) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4] وقد تفاجأ يعقوب حين سمع تلك الرؤيا؛ لأن ما رآه فيها يُعَدّ من دلائل النبوة، وقبل أن يَشْرَع في تأويلها حذّره من قَصِّ رؤياه على إخوته؛ لئلا يعلموا تأويلها فيكيدوا له ويحتالوا للتخلّص منه ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[يوسف: 5 – 6] وعُدِّي الكيد هنا باللام (فيكيدوا لك) مع أنه مُتَعَدٍ بِنَفْسِه؛ لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام، ليفيد معنى الفعلين جميعا الكيد والاحتيال فيكون آكَد وأَبْلَغ في التخويف أيْ: فيحتالوا لإهلاكك حيلة وكيدا عظيما لا تستطيع الخلوص منه [37]. وفي تلازم التحذير من كيد إخوته وذِكْر عداوة الشيطان للإنسان في سياق واحد ما يغني عن طول الشرح.

ولعلّنا نلاحظ أن تحذير يعقوب ليوسف من إخوته إنما جاء مُقتَضَباً مُوجَزاً، إذ لم يأتِ على ذكر الأسباب التي ستدفعهم إلى الكيد له وإظهار عداوتهم، ليأتي ذِكر ذلك كلّه فيما بعد على لسان إخوة يوسف في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ. إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ. اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ. قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ...﴾ [يوسف: 7– 18] حيث تصوّر لنا الآيات ذلك الاجتماع الذي ضَمَّ إخوة يوسف وهم يأتمرون ويتآمرون عليه بنفوس قد امتلأت بألم الحقد والكراهية وداء الحسد والغيرة، فتأبَّطَت الشرَّ وعزَمتْ على الكيد الذي زيّنه الشيطان ومَهّد له، ثم نفّذوا مؤامرتهم الكيدية الآثمة والتي خُفِّفَت من القتل إلى الالقاء في ظلمة بئر ليلتقطه بعض السيارة ويحملوه بعيداً عن موطنه الأصلي بلاد الشام، فَيَخْلُو لهم وجه أبيهم كما زعموا، وأصبح الطفل البريء في ذلك الوقت في أشدّ أوقات المحنة والكرب وقد تركه إخوته في ظلمة الليل وظلمة البئر ووحشتها يخشى الهلاك، وهنا تحوطه الرعاية الإلهية فيبشّره ربُّه بالنجاة والسلامة من تلك المحنة، وبأنه سَيُخبِر إخوته بما دبّروه له من الكيد والأذى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:15][38].

وفي بدء قصة يوسف بذكر قضية الرؤيا إشارة بليغة إلى أن الرؤيا وتعبيرها ستكون قضية جوهرية في حياته وسببا في رفعة شأنه، وقد كان يوسف أَعْبَرَ الناس للرؤيا وأَصَحَّهم عبارة لها، ورؤيا يوسف حق ووحي من الله كرؤيا سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ لذا فقد خُتِمَت هذه القصة بتحقق تلك الرؤيا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

ونستفيد من هذه القصة أهمية عامل السرية في نجاح الأعمال، وكتمان النِّعمة حتى تُوْجَد وتَظْهَر، فذلك يُفَوِّت كيد الكائدين ومكرهم، فتنمو النعم قبل أن تمتد إليها خيوط العراقيل التي قد تنسج شباكا في طريقها حقدا وحسدا، قال ﷺ: ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)) [39].

ثانيا: كيد النّسوة ليوسف عليه السلام: وهذه هي المحنة الثانية في حياة يوسف، فبعد أن نجّاه الله من محنته الأولى حُمِلَ إلى مصر ليباع – وهو الحرّ – عبداً بثمن قليل، واشتراه عزيز مصر وربّاه في داره، وما أن وصل إلى ريعان شبابه حتى أُفْتِتِنَت به امرأة العزيز وأخذت تُدبّر الحِيَلَ وتُحِيْكُ المكائد للإيقاع به، وراودته عن نفسه فاستعصم، فلمَّا فُضِحَ أمرها حاولت التخلّص من ورطتها تلك مُدّعية بأن يوسف هو مَن أرادها بسوء، فأظهر الله براءته، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 23 – 29]

ومما يثير الاستغراب في هذه القصة هو رَدَّة فعل العزيز بعد أن تأكَّد له جُرْم زوجته وبراءة يوسف، حيث اكتفى بأن ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ...﴾! هكذا رخاوةٌ في مواجهة الفضائح الجنسية، وميل إلى كتمانها عن المجتمع، وهذا هو المهم! وعِظَةٌ إلى المرأة التي راودت فتاها عن نفسه، وضُبِطَت متلبّسة بمساورته وتمزيق قميصه، وتلطُّفٌ في مجابهتها بنسبة الأمر إلى الجنس كلّه، فيما يُشْبِه الثناء، فإنه لا يسوء المرأة أن يقال لها: إن كيدكن عظيم! فهو دلالة في حسها على أنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم [40]، لذا لا غرابة أن نجد احدى النساء تفتخر بقدرتهن على قهر الرجال بما لهنّ من الكيد فتقول:

ما للرجال وظنهم عـ جْزُ النساء عن الكفاح
إن كان عندهم الصوا فن والصوارم والرماح

فلنا من الكيد العظيم لقهرهم أمضى سلاح
ونصال سِحرٍ لا تُشا هَدُ أو تُرَكَّبُ في قداح
نحن اللواتي سعينا بالمكر كُلِّل بالنجاح [41]

بل لقد وَصَفَ أحدُهم كيد ومكر النساء بالمروِّع فقال:

كَيْدُ النساءِ ومَكْرُهُنَّ مُرَوّعٌ... لا كان كُلُّ مكايدٍ مكارِ[42]

وإنّما استُعْظِم كيدُ النساء؛ لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأعظم حيلة وأخفى مكرا في إتمام مرادهن، أو التّخلّص من ورطة وقَعن فيها، وبذلك يَغْلِبْنَ الرجال، ولِعِظَم كيد النساء اتخذهنَّ إبليس وسائل لإغواء مَن صَعُبَ عليه إغواؤه، قال سعيد بن المسيب: (مَا أَيِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ) [43]

ولكن عِظَم كيد المرأة لا يُعدُّ مظهراً من مظاهر قُوَّتَها، بل هو أسلوب الضعيف الذي يحاول أن ينال حقَّاً لا يستطيع الوصول إليه صراحة[44] لذلك يقولون: أعوذ بالله من قبضة الضعيف؛ لأنه إذا تَمَكَّن من الفرصة لا يدعها؛ لأنه لا يضمنها في كل وقت، وينطبق عليهن في هذا الجانب قول الشاعر:

وَضَعِيفَة فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَة... قَتَلتْ كَذلِكَ قُدْرَةُ الضُّعفَاءِ [45].

– كيد النساء وكيد الشيطان كما ورد في القرآن:

تجدر الإشارة هنا إلى ما تردد على ألسنة بعض العلماء وشاع بين الناس حتى أصبح كالمسَلّم به: (أن النساء أعظم كيدا من الشيطان) وممن اختار هذا القول من العلماء: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث قال: فقوله في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقوله في الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:76] يدلُّ على أنَّ كيدهن أعظم من كيده[46] وذكر الزمخشري والآلوسي نحو هذا القول ونَسَباه إلى بعض أهل العلم، لكن الآلوسي عقَّبَ على ذلك بقوله: ولا يخفى أن استدلاله بالآيتين مبني على ظاهر إطلاقهما، ومِثْله ما تنقبض له النفس وتنبسط، ويكفي فيه ذلك القدر فلا يضر كون ضعف كيد الشيطان إنما هو في مقابلة كيد الله تعالى، وعظيم كيدهن إنما هو بالنسبة إلى كيد الرجال[47]

كما ناقش هذه المسألة بشيء من التفصيل عدد من الباحثين؛ ومنهم الأستاذ الدكتور/ صالح صواب حيث قال: ومع تسليمي بكيد النساء وعِظَمِه، إلا أنه لا ينبغي القول بأن كيدهن أعظم من كيد الشيطان، وذلك أن وصف كيد الشيطان بالضَّعف جاء في مقابل قوة الله عز وجل، ولا شك أن كل قوة في الدنيا، وكل كيد فيها فهو ضعيف أمام قوّة الله عَزّ وجَلّ مهما كانت هذه القوة، فتمام الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ فهناك مؤمنون، والله عَزّ وجَلّ وليهم، وهناك كفّار ووليهم الشيطان، ومهما كان كيد الشيطان فهو ضعيف، أما كيد النساء الوارد ذِكْره في الآية فقد جاء في مواجهة البشّر فيما بينهم، فيما كادت به امرأة العزيز يوسف حتى ظهر الدليل على براءته، ولكن شتّان بين كيدهن وكيد الشيطان، وأَحْسَبُ أن كيدهن المذموم ما هو إلا جزء من كيد الشيطان، كيف لا والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وقد كان سببا في كفر كثير من الناس بنص القرآن الكريم [48].

وبالعودة إلى سياق الآيات نجد أن امرأة العزيز وعلى الرغم من اكتشاف زوجُها أَمْرَ مراودتها ليوسف، وانتشار ذلك الخبر في أرجاء المدينة إلا أن ذلك لم يردعها عن غيّها، بل استمرت في محاولة إغراء يوسف، ولم تزدد أمام استعصامه وتأبّيه إلا إصراراً، لذا نجدها تعترف في تبجّح – ودون حياء منها أو خجل – وهي تخاطب النسوة اللواتي لُمْنَها على فعلتها ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف 32] إنه الإغراء الجديد في ظل التهديد بالسجن والعذاب، ولقد انبهرت أولئك النسوة من جمال يوسف، وتواطأن مع امرأة العزيز في محاولة إغرائه، وهنا التجأ يوسف إلى ربّه مستغيثا ومستعينا به أن يَصْرِف عنه كيدهن، وينقذه ممّا يكابده من فتنتهن وإغرائهن مُفَضِّلا السجن على الوقوع فيما حرم الله ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 33- 34]

السجن ليوسف بعد ظهور براءته: فبعد أن رأوا الآيات الناطقة ببراءة يوسف؛ من شهادة الشهود، وتَبَجُّح المرأة واعترافها عَلَنًا أمام النساء بمراودتها له واستعصامه وتأبّيه، بعد هذا كلّه بدا لهم أن يسجنوه إلى

حين! قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف:35] والسجن للبريء المظلوم أقسى وأشد إيلاما، لقد أُدْخِل يوسفُ السِّجنَ لا لذنبٍ اقترفه، ولكن لعفّته وطهارته، وبقي المُذْنِبُ المجاهر بذنْبِه على الملأ حُرًّا طليقا، وهكذا عَمِل ويعمل الطغاة مع العفيفين الأطهار؛ السجن أو النفي! فقد طالب قوم لوط بإخراج لوط عليه السلام وأهلِه من قريتهم، لِمَ؟ لأنهم أناس يتطهرون! ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:56] [49].

وفي فترة المحنة هذه تتجلّى نعمة الله على يوسف بما وهبه من عِلْم تعبير الرؤيا، وفي السجن تنطلق دعوته إلى الله تعالى، ثم تتجلّى نعمة الله عليه أخيراً بإعلان براءته الكاملة إعلاناً رسمياً بحضرة المِلك، فقد شاء الله أن تتسلّل رؤيا للمَلِك فيعجز المعبِّرون من الكهنة عن تأويلها، فيُعَبِّرها يوسفُ المسجون ظلما أحسنَ تعبير، فيأمر الملك بإخراجه من السجن، لكنه يأبى الخروج، ويطلب التحقيق فيما اتُّهِم به ظلما لتظهر براءته أمام الملأ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ. قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 50 – 52] وقد استحسن رسولنا الكريم ﷺ حَزْمَ يوسف وصَبْرَه عن التَّسَرُّع إلى الخروج قبل أن تظهر براءته، فقال: ((يرحم الله يوسف إنْ كان ذا أناة، لو كنت أنا المحبوس ثُمَّ أُرْسِلَ إليَّ لخَرَجْتُ سريعا، إنْ كان لَحَلِيْما ذا أناة)) [50].

البراءة الكاملة ليوسف عليه السلام بنص القرآن: لقد أكد القرآن العظيم على براءة يوسف عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، حيث شَهِدَ كلُّ من له تَعَلّق بالمسألة ببراءته، وشهد الله له بذلك، والذين لهم تعلق بتلك الواقعة هم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنّسوة، والشهود؛ **أما يوسف** فقد ظهرت براءته من تلك المعصية من خلال حَزْمِه وامتناعه كما في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]، وقول يوسف للعزيز: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [الآية:26].

وأما امرأة العزيز فقد اعترفت ببراءة يوسف مرتين؛ الأولى: قولها أمام النّسوة: (وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) والثانية: قولها أمام الملك: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:51] أي أنَّه صادقٌ في قوله: (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي) قال الماوردي: "وإقرار المقِرّ على نفسه أقوى من الشهادة عليه، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار، حتى لا يُخَامِر نَفْساً ظنٌّ ولا يُخالجها شكّ"[51].

وأما اعتراف زوج المرأة ببراءة يوسف ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 28 - 29].

وأما النسوة فقد شَهِدْنَ في المرة الأولى بطهارة يوسف ﴿قُلْنَ حَاشَ للَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31]، وشَهِدْنَ أمام الملك ببراءته ونزاهته ﴿قُلْنَ حَاشَ للَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: 51] قال الزمخشري: "ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنزاهة، واعترافهنّ على أنفسهنّ بأنه لم يتعلق بشيء مما قَرَفْنَهُ به، لأنهنّ خُصُومُه، وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحَقّ وهو على الباطل لم يبقَ لأحدٍ مقال"[52].

وأما أدلّة الشهود على براءة يوسف ففي قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 26 - 27] قيل: أن الشاهد هو ابن عَمٍّ لها، وإنما أَلْقَى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجبَ للحُجَّة عليها، وأَوْثَقَ لبراءة يوسف، وقيل: أنه صبي في المهْد، قال الشنقيطي: وأظهر الأقوال: أنه صَبِيّ في المهد، لِمَا رواه أحمد وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن النَّبي ﷺ قال: ((تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهِد يوسف، وصاحِبْ جُرَيج، وعيسى ابن مريم))[53]، قال ابن الجوزي: "فإن قلنا إنه صبي في المهد كان دخول الشرط مُصَحِّحاً لبراءة يوسف، لأن كلام مِثْلِه أُعْجُوبة ومعجزة لا يبقى معها شكٌّ"[54].

كما شهد الله ببراءة يوسف بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24] قال الرازي: قد شهد الله تعالى في هذه الآية الكريمة على طهارته أربع مرّات: أوّلها: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة. والثانية: قوله: ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي: وكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. والثالثة: قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ مع أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الاسراء: 64] والرابعة: قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول؛ فوروده باسم الفاعل يدُلُّ على كونه آتياً بالطاعات والقُرُبَات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدلُّ على أن الله تعالى استخلصه لنَفْسه، واصطفاه لحضرته. وعلى كلا الوجهين فإنه مِن أَدَلِّ الألفاظ على كونه مُنَزَّهاً عمّا أضافوه إليه[55]، فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته عليه السلام مما لا ينبغي[56]، ولقد أحسن أبو تمام بقوله:

قد يُنْعِمُ الله بالبلوى وإن عظُمَت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم[57]

ثالثاً: كيد الله لصالح يوسف عليه السلام: لقد بيّنّا فيما تَقَدّم أنواع الكيد الذي تعرَّض له يوسف منذ نعومة أظفاره، وكيف نجّاه اللهُ من كيد إخوته، وصرف عنه كيد النسوة، وأظهر براءته الكاملة أمام الملك، وأخرجه من ضيق السجن إلى سعة المُلْك، وذكرنا أيضاً بأن المراد بكيد الله: هو التدبير بالحقّ لمجازاة أعمال الخَلْق. وبأن كيد الله لصالح عبده المؤمن لا يخرج عن نوعين: أحدهما:- وهو الأغلب- أن يفعل تعالى فعلا خارجا عن قدرة العبد الذي كاد له، والنوع الثاني: هو أن يُلْهِمَه تعالى أمرا مباحا أو مستحبا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون على هذا قد كاد ليوسف نوعَي الكيد

وبناء على ذلك فإن المراد بكيد الله لصالح يوسف المذكور في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ﴾ [يوسف: 76] هو إلهام يوسف لتلك الحيلة المحْكَمة التي جمعت بينه وبين أخيه واستبقائه عنده، وجملة ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ﴾ بيان للكيد باعتبار جميع ما فيه من وضْعِ السقاية، ومن حُكْم إخوته على أنفسهم بما يلائم رغبة يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولولا ذلك لَمَا كانت شريعة القِبْط تُخَوِّله ذلك، فَشَرْعُهم في السارق أنْ يؤخذ منه الشيء ويُضْرَبُ ويُغَرَّمُ ضِعفَي قيمة المسروق [58].

وفيما تقدم دليل على أن المؤمن المتوكّل على الله إذا كاده الخلق فإن الله ينتصر له بغير حَوْل منه ولا قوّة.

المطلب الرابع: كيد فرعون وقومه لموسى عليه السلام:

تُعدّ قصة موسى أكثرَ القصص ورودا في القرآن فقد وردت في أكثر من عشرين سورة، وقد بَعَثَ اللهُ موسى إلى فِرْعَوْنَ وقومه، فبلَّغَهم رسالة ربه، وأراهم الآيات البينات التي أيَّده الله بها للتدليل على صدقه فيما يدعو إليه، فلم يزدادوا إلا تكذيبا وجحودا وإصرارا على الكفر والطغيان، وأخذوا في تدبير المكائد لتضليل الناس وصدّهم عن سبيل الإيمان بالله، كما وضّحَتْه العديد من الآيات، ومع كل ذلك الجُهد الذي بذله موسى في الدعوة والانذار ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: 83]

المناظرة العلنيّة الكبرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون وسَحَرَتِه:

لَمَّا رأى فرعون انتشار أمر موسى وإقبال الناس على الإيمان به، خاف على سلطته ومُلكِه من الزوال، فعقد اجتماعا طارئا لكبار مستشاريه وأركان دولته وهم من يُسَمِّيهم القرآن بـ (الملأ) لمناقشة ذلك الأمر، والبحث عن أفضل السُّبُل الكفيلة بدحض وإبطال ما جاء به موسى وصدّ الناس عن اتّباعه، فأشاروا عليه باستدعاء أمهر السحرة وأعلمهم بفنون السِّحر لإجراء مناظرة بينهم وبين موسى لعلّهم يَغْلبوه بسحرهم قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 34 – 37] استحسن فرعون ذلك الرأي، وما إن تمّ الاتفاق على تحديد زمان ومكان اجراء تلك المناظرة العلنيّة الكبرى حتى سارع فرعون إلى إعلان حالة الاستنفار القصوى في طول البلاد وعرضها استعدادا لتلك المناظرة التي جاء ايجاز أحداثها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى**. قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى. قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى. **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ**

ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى. قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى. قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى. **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ** وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 56–71]

لقد بينت الآيات مع وجازتها البرنامج الفرعوني في الإعداد والترتيب لتلك المناظرة وأبرز احداثها ونتائجها، وهذا سرٌّ من أسرار التعبير القرآني. قال ابن عاشور في قوله: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه:60] تفريع التّولّي وجمع الكيد على تعيين موسى للموعد إشارة إلى أن فرعون بادر بالاستعداد لهذا الموعد ولم يُضعِ الوقت للتهيئة له، والتولّي: الانصراف، وهو هنا مستعمل في حقيقته، أي: انصرف عن ذلك المجلس إلى حيثُ يُرسل الرّسل إلى المدائن لجمع من عُرِفوا بِعِلْم السِّحر، وهذا كقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى. فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات: 22و23] ومعنى جَمْعُ الكيد: تدبير أسلوب مناظرة موسى، وإعداد الحِيَل لإظهار غَلَبَة السَّحرة عليه، وإقناع الحاضرين بأنّ موسى ليس على شيء. فالجَمْعُ هنا مُسْتَعمَلٌ في معنى إعداد الرأي، واستقصاء ترتيب الأمر، كقوله: ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: 71] أي: جَمَعَ رأيه وتدبيره الذي يكيد به موسى، ويجوز أن يكون المعنى: فَجَمَعَ أهل كيده، أي: جَمَعَ السَّحرة، كقوله: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: 38] [59] فأطلق الجمع على التعاضد والتعاون تشبيها للشيء المختلف بالمتفرّق، ومنه قول الشاعر:

وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ... فأجمِعُوا أمرَكم شَتَّى فكِيدُونِي[60]

وسَمُّوا عملهم كيدا؛ لأنهم تواطأوا على أن يُظْهروا للعامّة أن ما جاء به موسى ليس بعجيب فهم يأتون بِمِثْله أو أشدَّ منه ليَصْرِفوا الناس عن سماع دعوته، والظاهر أن عامّة الناس تسامعوا بدعوة موسى وما أظهره الله على يديه من المعجزات، وأصبحوا متحيّرين في شأنه، فمن أجل ذلك اهتمّ فرعون بالكيد له ﴿فَجُمِعَ

السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء 38-40] (61)

وقد أشار أبو عبد المعز إلى بعض وجوه الاعجاز البياني في هذه الآية المتَمَثِّل في اختصار اللفظ مع تلبية حاجات المعنى فقال: هذه الآية إخبار عن فرعون، وترتيب للأفعال الصادرة عنه: (التَّوَلّي والجَمْع والمجيء) ومع أن تلك الأفعال المتلاحقة تُشْعِر بالسرعة؛ لكنّها مع ذلك بَيَّنَتْ البرنامج الفرعوني كُلّه، فانظر مثلا إلى قوّة الجملة الوسطى: (جَمَعَ كَيْدَهُ) فالفعل "جَمَعَ" يختزل أوقاتا وأحداثا وإعلانات وسفراء ومبعوثين وحركة في طول البلاد وعرضها وعروضا وإغراءات ووعودا، باختصار: حالة استنفار قصوى، والمفعول به: (كيد) يختزل من جهته الأفعال السِّحرية، والرغبة في إزالة الحق بالباطل فَضْلا عن الإشارة إلى غموض عالَم السِّحر والسَّحرة، وانظر إلى الرابطين لترى أسلوب القرآن المعْجز: "جمع كيده" جملة معطوفة على سابقتها بالفاء، والفاء تدل على الترتيب مع الفوريّة كما هو معلوم، ففهمنا من ذلك أن فرعون مستعجل في أَمْره فقضيّة موسى لا تحتمل التأخير، وفهمنا من فوريّة الجَمْع استبداد الفرعون، وقيام الناس على خدمته واستجابة رغباته بأقصى ما يستطيعون، فالأمر عند الفرعون يفيد الوجوب مع الفوريّة. لكن (أتى) عُطِفَتْ على الجَمْع بـ (ثُمّ) التي تُفيد التراخي، لأن المقام يقتضي ذلك لوضع المخططات والاتفاق على الوسائل وترتيب الأولويات، فتَعَجَّب من أسلوب القرآن كيف جمع بين سرعة تلاحق الأفعال في السَّرْد والحَكِي، وتعدّد الفصول والمشَاهد والأحداث في المسرود والمحْكِي (62)

لقد جاء سحرة فرعون بأشياء عظيمة أرهبت الحاضرين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116] فخاف موسى أن يتأثر عامّة الناس بما شاهدوه من تلك الأعمال السِّحريّة ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [طه: 67] وهذا الخوف مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البَشَر، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10] وهُنَا طمأنَهُ الله بإظهار حُجَّته عليهم، وابطال كيد سَحَرَة فرعون وتلفيقاتهم التي يُؤَثِّرون بها على عامّة الناس فقال: ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ** وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ

أَتَى﴾[طه: 68 – 69] أي: إنما زوَّروا وافتعلوا وهالَك أمْرُه كيدٌ سحري لا حقيقة له ولا ثبات، ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أيَّنْ كان. وقرئ: (كَيْدُ سِحْرٍ) بمعنى: ذي سِحْر، أو ذوي سِحْر. أو هُم لتوغّلهم في سِحْرهم كأنهم السِّحر ذاته، أو بَيِّنِ الكيد؛ لأنه يكون سِحْراً وغيرَ سِحْر[63].

لقد أبطل الله كيد فرعون وأعوانه أمام الملأ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 37] أي: وما تدبير فرعون إلا في خَسَارٍ وهلاك عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه[64]، وتأكَّد لسَحَرة فرعون – وهم أعلمُ الناس بالسِّحر وأساليبه – أن ما جاء به موسى ليس من جنس ما صنعوه من السّحْر والشعوذة فأعلنوا إيمانهم ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 69]

قال الشعراوي: لقد دخلوا كافرين فَجَرَة فخرجوا مؤمنين بَرَرَة، لأنهم جاءوا بكل ما لديهم من الكَيْد، وجمعوا صَفْوة السِّحر وأساتذته ممنْ يَعْلمون السِّحر جيداً، ولا تنطلي عليهم حركات السَّحرة وألاعيبهم، فلمّا رأوا العصا وما فعلتْ بِسِحْرِهم لم يخالطهم شكٌّ في أنها معجزة بعيدة عَمّا يصنعونه من السَّحر؛ لذلك سارعوا ولم يترددوا في إعلان إيمانهم بموسى وهارون، وهذا يَدُلُّنا على أن الفطرة الإيمانية في النَّفْس قد تطمسها الأهواء، فإذا ما تيقظتْ الفطرة الإيمانية وأُزيلَتْ عنها الغشاوة سارعتْ إلى الإيمان وتأثّرتْ به. إذَن: فَطِباعهم وفِطْرتهم تأبى هذا الفعل، وتعلم أنه كذب وتلفيق، لكن ماذا يفعلون وكبيرهم يأمرهم به، بل ويُكرههم عليه، ويلزمهم أنْ يُعلِّموا غيرهم، لماذا؟ لأن السِّحر والشَّعوذة والتّلفيق هي رأس ماله وبضاعته التي يسعى إلى ترويجها، فعليها يقوم مُلْكه وتُبْنَى أُلوهيّته[65]

فرعون يتوعّد موسى والذين آمنوا معه بالقتل والتنكيل: لَمَّا ظهر عَجْز فرعون وبطُلَت أساليب كيده ومكره على رؤوس الأشهاد لجأ إلى التهديد والوعيد لموسى ومن آمَن معه كما هو شأن الطغاة والجبابرة في كل عصر حينما يعجزون عن مقارعة الحُجّة بالحُجّة ويفحمهم الدليل والبرهان، حيث هدّد السَّحرة الذين أعلنوا إيمانهم ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 70] كما سبق وأمَرَ بقتل أبناء بني إسرائيل خوفا من ظهور موسى، وهدّد بقتل الذين آمنوا بموسى ليصدّهم عن الايمان قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ **وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾ [غافر: 25] أي: وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم إلاّ في ضياع وبُطلان فإنهم باشروا قتلهم أولاً خوفا من ظهور موسى فما أغنى عنهم ونَفَذَ قضاء الله بإظهار مَن خافوه، فما يغني عنهم هذا القتل الثاني في صَدّ من آمن به، بل كان فيه تبارُهم وهلاكُهم، فضاع كيدهم وخاب مسعاهم في الكَرّتين، وهكذا أفعال الطغاة وكيدهم مع المؤمنين في كل زمان تبوء بالخسران(66).

وأخيرا هدّد فرعون بقتل موسى بدعوى الخوف على دِين قومه وتداركا لمنع الإفساد في الأرض ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[غافر: 26]

وهنا يأتي دور مؤمن آل فرعون الذي ذكَّرهم بسوء نيّتهم وخطأ ما هم بصدد الاقدام عليه، وحذّرهم من أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم من العذاب نتيجة كفرهم وتكذيبهم للأنبياء والرُّسل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ...وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ **وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ**...﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 23 – 45] لقد أهلك الله فرعون ومن معه واستثنى الله مؤمن آل فرعون من العذاب وجعله حجّة عليهم وعبرة للمعتبرين، فتحقّقت سُنّة الله بنصر المؤمنين، واهلاك الكفار والطغاة. وأصبح فرعون مَضْرب المثَل لكل طاغية مستكبر في كل زمان ومكان، وما أكثر فراعنة العصر المستكبرين في الأرض بغير الحق، فهلاّ اعتبروا بمصير أسلافهم!

المطلب الخامس: الكيد للإسلام والمسلمين:

أولاً: الكيد لهذا الدِّين في صدر الإسلام: منذ أن أشرقت شمس الإسلام ببعثة خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ وأعداؤه من الكفار والمشركين يكيدون له ليلا ونهارا سرًّا وجهارا، وقد بدأ ذلك الكيد في صورة حملات إعلامية مُضادّة ومضلِّلَة تمثّلت في افتراءات ودعاوى كاذبة طَعْنًا في الرسول ﷺ واتهامه بالكذب والسِّحر والجنون وغير ذلك، وكذا إلقاء الشبهات فيما أخبر القرآن بوقوعه، ووصْفُ القرآن بالإفك وبأساطير الأولين، ولقد ذكر القرآن العديد من تلك الدعاوى الكاذبة التي تَفَوَّه بها المشركون، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: 4 – 5] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31] وتلك الأقاويل وأشباهها ما هي إلا من قَبِيل الحرب النّفسيَّة التي كانوا يشنّونها بقصد تضليل البسطاء، والوقوف في وجه تأثير القرآن في القلوب، وقد تحدّاهم القرآن – الذي زعموا أنهم لو شاءوا لقالوا مِثْلِه – أن يأتوا بِمِثْلِه، أو بعشر سُوَرٍ من مِثْلِه، ثم تحدّاهم في نهاية المطاف أن يأتوا بسورة مِثْلِه فعجزوا وانقلبوا خاسرين.

كما أخذوا يُخَوِّفون الرسول من انتقام آلهتهم، فيأذن الله لرسوله أن يتحدّاهم بأن يستصرخوا أصنامهم ثم يتعاونون جميعا على الكيد له من غير تأخير، فإذا لم يتمكنوا من ذلك تبيّن عَجْزُهم وعَجْزُ آلهتهم، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ. إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: 195 – 197]

ثم طَوَّر الأعداء أساليب كيدهم للرسول ﷺ وللمؤمنين معه، فأضافوا الكيد الفعلي إلى الكيد القولي بدءا بإيذاء المؤمنين، ثم المقاطعة والحصار علّهم يرجعون عن دينهم، وأخيرا خطّطوا لقتل النبي ﷺ والتّخلّص منه وممّا يدعو إليه كما سيأتي.

كما شنّ اليهود حربا شعواء على الإسلام، وألّبوا على المسلمين كلّ قوى الجزيرة العربية المشركة، وقد بيّن الله أهداف أهل الكتاب ودوافعهم، وكشف لنا ما يضمرونه للمسلمين من شرٍّ، وما يكنّونه من حقد

وحسد في العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109]

وقد حزن النبي الكريم ﷺ – وهو المبعوث رحمة للعالمين الحريص على هدايتهم – لِمَا يلاقيه من تكذيب وتشكيك وصدّ عن الايمان، فأنزل الله عليه آيات تصبّره وتواسيه، وتذكّره بأن هذا هو دأب الكفار والطغاة في كل زمان، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 33 – 34] وأَمَرَه أن يمضي لِمَا أَمَرَه ولا يستعجل عقوبة المكذبين بآيات الله فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182-183] وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 44– 45] والاملاء: الامهال والتأخير، وهذا التهديد والوعيد يواجه به القرآن مشركي مكة، وفي ذلك تسلية وتثبيتا للرسول ﷺ وبشارة له بالنصر، والمراد: حسبي مجازياً لمن يكذّب بالقرآن، فلا تشغل قلبك بشأنه، وتَوَكّل عليَّ في الانتقام منه، وسَمَّى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً؛ لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورّط في الهَلَكَة، ووصَفَه بالمتانة؛ لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك، ولهذا قيل: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغرور بالستر عليه! [67]، قال ﷺ: ((إذا رأيتم الله عز وجل يعطي العبد ما يُحِبُّ وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج)) ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:44][68].

وقد أخبر الله تعالى نبيه الكريم بأن الكفار لا يألون جُهْدا ولا يدّخرون وسيلة في الكيد لهذا الدين وصدّ الناس عن اتّباعه، آمِرًا له بعدم الاشتغال بهم وبما يحيكونه من مكايد؛ لأنه تعالى سيتولى التصدي لمكائدهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: 15 – 17] وفي مجيء الفعلين (يكيدون، أكيد) بصيغة المضارع الدال على الاستمرار، وتوكيده بالمفعول المطلق المنوَّن النكرة (كيدا) دلالة على استمرار كفار قريش في تدبير أعظم المكائد وأفظع الحِيَل لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة

بالرسول ﷺ وبالحق الذي جاء به، وعلى أن الله لهم بالمرصاد، فكلّما جدّدوا كيدا لهذا الدين أبطله الله تعالى بحفظ نبيه وإظهار دينه، وجازاهم بكيد متين لا يمكن رده ولا التفطن له، ومهما كان كيد أولياء الشيطان فهو ضعيف أمام تأييد الله لعباده المؤمنين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] وقد ضرب الله لكفار قريش مثلا قريبا حدث في مكة واشتهر وتسامع به العرب وجعلوه تاريخا، وهو قصة أصحاب الفيل المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 1 – 5] والاستفهام في الآيتين للتقرير، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: لقد جعل الله تعالى كيد أصحابا الفيل وسعيهم لتخريب الكعبة في تخسير وتضييع وإبطال ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 25] حيث أهلكهم إهلاكا شنيعا، وهذه السورة التي تحدثت عن مصير أصحاب الفيل ساقت من مظاهرة قدرة الله ما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، وثباتا على ثباتهم، وما يَحْمِل الكافرين على الاهتداء إلى الحق والإقلاع عن الشِّرْك والجحود لو كانوا يعقلون[69]

ولَمّا شعر الكفار بفشل جميع أساليبهم في الكيد للإسلام وصرْفِ الناس عن الإيمان، قرّروا التخلّص منه ﷺ ومن دعوته، فدعَوا إلى اجتماع طارئ في دار النّدوة ضمَّ زعماء مشركي قريش، وطُرِحَتْ الآراء ونُوقشت المقترحات والمخطّطات الكيدية الكفيلة بتحقيق ذلك الهدف، وقد خَلُصَ كيدهم ومكرهم في ذلك اللقاء التآمري إلى ثلاثة آراء: أن يحبسوه، أو يقتلوه، أو ينفوه من بلده مكة، كما جاء بيانه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]

وهنا يُطَمْئِنُ اللهُ نبيَّه بأنه لهم ولمكائدهم بالمرصاد، قال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42] والمراد بكيدهم في هذه الآية هو تدبيرهم قتل النبي ﷺ. وقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ إشارة إليهم، أو أريد بهم كلّ من كفر بالله، أي: هم الذين يحيق بهم الكيد، أو يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر، أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته، فثق بالله وامض لِمَا أمرك به[70].

وبعد أن بيّن الله ما حَلَّ بمشركي مكة من هزيمة على أيدي المسلمين في بدر، وأن ذلك كان بلاء حسنا من الله للمؤمنين، تأتي البشرى للمؤمنين بالنصر، وبأن الله مُضْعِف كيد الكافرين في الحال وفيما يستقبل من الزمان، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 17- 18] والوَهْنُ: الضَّعفُ، وقد فرّق أبو هلال العسكري بين الضَّعْف والوَهْنِ فقال: إن الوَهْنَ: انكسار الجسد بالخوف وغيره، والضعف: نقصان القوة[71]، وقد وصف الله المؤمنين المجاهدين بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146] إشارة إلى نفي الحالتين عنهم في الجهاد، و(كَيْدِ الْكَافِرِينَ) هو قصدهم الإضرار بالمسلمين في صورة ليست ظاهرها بمضرّة، وذلك أن جيش المشركين الذين جاءوا لإنقاذ العير لما عَلِموا بنجاة عِيْرهم، قرّروا أن يقيموا على بدر لينحروا ويشربوا الخمر ويضربوا الدفوف فرحا وافتخارا بنجاة عِيْرهم؛ ليتسامع العرب فيتساءلوا عن سبب ذلك فيُخْبَروا بأنهم غَلَبوا المسلمين فيصرفهم ذلك عن اتّباع الإسلام، فأراد الله توهينهم بهزمهم تلك الهزيمة الشنعاء فهو موهن كيدهم في الحال[72].

ولَمّا لاحت بوادر النصر لِرَكْب الايمان، اغتاظ كفار قريش، ولكن ليس بيدهم حيلة لقطع أسباب النصر أو الحيلولة دون وقوعه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15] وهذا عذاب نفسي وهو أشدُّ إيلاما من العذاب الجسدي، قال الشعراوي: أي: من كان يمرُّ بخاطره مجرّد مرور أن الله لن ينصر محمداً، أو يَتَوَهّم ذلك، مَنْ ظَنَّ هذا الظنَّ فعليه أنْ ينتهيَ عنه؛ لأنه أمر بعيد لن يحدث ولن يكون، والغيظ: نوع من الغضب مصحوب ومَشُوب بِحُزْنٍ وأَسَى وحَسْرة حينما ترى واقعاً يَحْدُثُ أمام عينيك ولا يرضيك، وفي الوقت نفسه لا تستطيع أن تفعل شيئاً تمنع به مَا لا يُرضيك، والغَيْظ يقع للمؤمن والكافر، فحين نرى عناد الكفار وسُخريتهم واستهزاءهم بالإيمان نغتاظ، لكن يُذهِب اللهُ غيْظَ قلوبنا قال تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 15] أما غيْظ الكفار من نصْرِ الإيمان فسوف يَبْقى في قلوبهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ

قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: 119] [73] وفي ذلك تنبيه للمؤمنين ألاّ ييأسوا مِن نصر الله لهم مهما تكالب الأعداء في الكيد لهم.

ثانياً: الكيد المعاصر للإسلام والمسلمين:

لم يتوقف الأعداء في الكيد لهذا الدين يوما من الأيام، ولم يَدَّخِروا وِسْعاً في ذلك، وما يزال الأعداء اليوم على اختلاف أجناسهم وعقائدهم ومللهم يكيدون له ويمكرون به وبأتباعه بشتى الوسائل والطرق كلّما سنحت لهم فرصة، بل لقد تفوّقوا على أسلافهم فتفننوا في ابتكار واستحداث طرق وأساليب كيد جديدة أكثر تأثيرا وأوسع انتشارا، مستغلّين حالة الضَّعف والهوان التي يعاني منها المسلمون اليوم لتنفيذ مخططاتهم، وفيما يلي ذكر بعض تلك المكائد على سبيل التمثيل لا الحصر.

فمن مكائدهم: محاولة إخراج المسلمين من الإيمان إلى الكفر:

لقد بيّن الله في العديد من آيات القرآن أهداف ودوافع الكفار والمشركين من أهل الكتاب وغيرهم، وكشف لنا ما يكنّونه للمسلمين من حقد وحسد فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109] ولا يزال ذلك الحقد مُتَأصِّل في أجيالهم المتلاحقة، وما تزال حربهم الشعواء مُسْتَعِرة في كافة المجالات علّهم يحقّقون تلك الغاية الدفينة التي بيّنها الله بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217] وفي سبيل تحقيق تلك الغاية جيّش الأعداء في العقود الأخيرة آلاف مؤلّفة من المستشرقين والمنصّرين والاعلاميين، وسَخَّروا الأموال ووسائل الإعلام، وعقَدوا العديد من المؤتمرات والندوات العالمية لدراسة أفضل السُّبل الكفيلة بتحقيق ذلك الهدف، ومنها: المؤتمر التنصيري بكولورادو سنة 1978م والذي جاء فيه: "ونحن بحاجة إلى مئات المراكز تُؤسَّسُ حول العالم بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام وللتعامل النصراني مع الإسلام، وإنّما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصِّرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء!!" [74]

ومن مكائدهم: اختلاق الأزمات واثارة الفتن والحروب بين المسلمين لتفريق وحدتهم:

لقد رأى أعداء الإسلام أن السبيل الأمثل لتحقيق اختراق الإسلام هو اختلاق المشاكل والأزمات واثارة الفتن والحروب بين المسلمين، فقد جاء في قرارات وتوصيات المؤتمر التنصيري المشار إليه آنفا أن صناعة الكوارث واختلاق المشاكل والأزمات في العالم الإسلامي هي الظرف الأنسب للتّحوّل الجَمَاعي نحو النصرانية [75].

كما عمل الأعداء جاهدين على تفريق وحدة المسلمين، فرسموا السياسات والخرائط والخطط الاستعمارية لتقسيم البلدان العربية والإسلامية واحتلالها، ومنها: المخطط الذي سُمِّي بـ (سايس بيكو) والذي نجحوا في تنفيذه وقسموا الوطن العربي إلى دول ودويلات، وهاهم اليوم يعيدون الكرّة وفق مخططهم (مشروع الشرق الأوسط الجديد) والذي يهدف إلى تقسيم المقَسّم وتجزيء المجَزّأ من تلك البلدان، وفي سبيل انجاح ذلك المخطط أجّجوا الصراعات وأشعلوا فتيل الحروب البينيّة بين المسلمين لينشغلوا بها عن أعدائهم، وتُستهلك فيها طاقاتهم، وتُدَمّر قوّاتهم ومقدراتهم وبلدانهم، وتُنهب خيراتهم، وليجد الأعداء الفرصة سانحة للقضاء عليهم وإعادة استعمارهم، يقول **أوسكار ليفي**: "نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومُفسِديه، ومُحَرِّكي الفتن فيه وجلاّديه" [76]، وقال بعض قادة اليهود: "نحن نثير حملة حقد ضخمة في الشرق ضدّ الغرب، وفي الغرب ضدّ الشرق، وسوف نحارب الأمم التي تقف على الحياد فنجبرها على الانضمام لهذا المعسكر أو ذاك، ولن ندَع أحداً يقف في وجهنا إذا أراد التّخفيف من حدّة النزاع"[77]، وهكذا عبثت تلك الأيادي اليهودية والصليبية الآثمة ولا تزال تعبث في ساحات الأمة الإسلامية، ولا تزال سيوفهم تقطر من دمائنا في العديد من البلدان العربية والاسلامية[78]، وللأسف فقد ساعد كثيرٌ من أبناء جلدتنا في تنفيذ مخططات الأعداء ناسين قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103] وقوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

ومن مكائدهم: زعزعة القيم والأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام:

إن المخططات الكيدية التي تُتَّخَذ في أوكار قوى الاستعمار من الصهاينة والصليبيين وغيرهم أكثر من أن تُحصى، وكلّها تهدف إلى إفساد المجتمعات وفي مقدمتها المجتمعات العربية والإسلامية عن طريق إلقاء

الشبهات وإطلاق عنان الغرائز والشهوات؛ لزعزعة القيم والأخلاق الحميدة التي دعا إليها الاسلام ورغّب فيها، جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا..." [79] ولتحقيق ذلك الهدف فقد استغلوا التطوّر الهائل في وسائل الإعلام والاتصال والتواصل، وجعلوا منها سبيلَ غِوايةٍ وإضلالٍ، وملهاةً للشعوب وتخديراً لها، حتى تظلَّ مُغَيَّبةً عن واقعها، منعزلةً عن ماضيها، ذاهلةً عن مستقبلها[80].

ويأتي افساد الشباب والمرأة في مقدّمة أولوياتهم، حيث شَغَلوا الشباب ببرامجهم المضلِّلَة، وأفكارهم المنحرفة، وثقافاتهم المسمومة، عبر المسلسلات والأفلام والمواقع المشبوهة، ليضمنوا عدم قيام الشباب بدوره الفاعل في البناء والنهوض، كما ارتفعت الأصوات عبر وسائل الإعلام وفي المنتديات والمؤتمرات الدولية للمطالبة بحقوق المرأة وتحريرها مُدّعِين بأن الإسلام ظلمها، ويثيرون العديد من الشُّبَه والتساؤلات الكيديّة الماكرة، ومنها: لماذا جَعَل الاسلام القوامة للرَّجل؟ ولماذا جُعِلَ الطلاق بيده؟ ولماذا جُعِلَتْ شهادة المرأة بنصف شهادة الرَّجل؟ وميراثها نصف ميراثه؟ وأليس في تعدّد الزوجات ظلم للمرأة؟ إلى غير ذلك من الشُّبَه التي يروّجون لها ليلا ونهارا.

ومن مكائدهم: محاربة القرآن الكريم والسعي الحثيث لتحريفه والتشكيك فيه:

لقد تولّدت لدى أعداء الإسلام قناعة تامّة – بعد تجربة طويلة – بأن القرآن الكريم هو سِرُّ قوّة المسلمين، وأنه لن يتحقق لهم ما يتمنونه من القضاء على الإسلام باعتباره دِيْناً، ولا على المسلمين باعتبارهم أُمّة ذات هويّة إلا بإبعادهم عن هذا المصدر، لذلك تتجدد المحاولات بين آونَةٍ وأخرى لابتكار طرق جديدة للطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه وفيما تضمّنه من أحكام؛ لصرف الناس عنه، ومنها تلك المحاولات ما قام به سلمان رشدي في كتابه المسمى (آيات شيطانية) يقول **جون تاكلي**: "يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) – وهو أمضى سلاح في الإسلام – ضِدّ الإسلام نفسه لنقضي عليه تماما، يجب أن نُرِيَ هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا" [81]، ويأتي الكتاب المسمى (الفرقان الحق[82]) حلقة في سلسلة الحملة الصليبية المعاصرة الماكرة على الإسلام وأهله، فهو جزء من مشروع بعيد المدى يهدف إلى تحريف القرآن، وصرف المسلمين عن دينهم، مع دعوة صريحة

لعقيدة النصارى، وهناك محاولات كيديّة لا حصر لها لتحريف القرآن، ولكنها ستبوء كما باءت سابقاتها بالفشل مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]

ومن مكائدهم أيضا: الصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين:

إنّ آخر ما توصّل إليه دهاقنة السياسة والفكر اليهودي والصليبي من وسائل الكيد والمكر في النَّيل من هذا الدِّين هو وصف المسلمين بالإرهابيين، ولذلك أعلنوها حربا شعواء ضدّ الاسلام والمسلمين وانتهكوا القوانين والمواثيق والمعاهدات الدولية، فاستباحوا حرمات كثير من الدول العربية والاسلامية ودمّروها وعاثوا في الأرض فسادا بِحُجّة محاربة الارهاب والقضاء على الإرهابيين، على الرغم من أن مفهوم الارهاب مصطلح مطاطي لم يتفق العالَم على مفهوم محدَّد له، لذا لا غرابة أن يوصف أطفال الحجارة الفلسطينيون المدافعين عن أرضهم وعِرضهم بالإرهابيين، بينما يوصَف المحتل الصهيوني المدجّج بأحدث الأسلحة وأشدّها فتكا بالمدافع عن نفْسه، وللأسف الشديد فقد أعلن كثير من قادة العرب والمسلمين تضامنهم مع الغرب لنفس المبرِّرات والحُجَج!

المبحث الثالث: علاج الكيد كما جاء في القرآن

المطلب الأول: البناء النفسي والعقدي للمسلم:

من المعلوم أن المعركة بين الأمّة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة، وحتى حين يريد أعداؤها أن يحاربوها عسكريا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا فإنهم يحاولون أولا أن يوهِنوا عقيدتها، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئا والأمّة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، مدركة لكيد أعدائها، وكلّما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المتَرَقِّية الجديدة، ولكن لنفس الهدف والغاية القديمة التي أخبرنا الله عنها بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109] أي: تمنّوا وأحبّوا، وهذه نهاية العداوة وشدة البغضاء التي تمتلئ بها صدورهم حسدًا للمؤمنين على الفضل الذي اختصّهم الله به، وهذا داء لا يُرجى شفاؤه، ولقد أحسن الشاعر بقوله:

كُلُّ العداوة قد تُرجى إفاقتها... إلا عداوة مَن عاداكَ مِن حَسَدِ (83)

ولم يقف بغي المشركين والكفار وحسدهم للمسلمين عند التمنّي القلبي، بل تجاوزوه إلى شنّ حرب شعواء على كافة الأصعدة بدءا بالحرب الإعلامية والنفسيّة بإلقاء الشبهات حول دين الإسلام وأحكامه وتعاليمه وقِيَمِه، ثم بالحرب العسكرية، وهي الغاية نفسها لدى أعداء الإسلام اليوم الذين تداعوا من كل حَدَبٍ وصوب لحرب المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217]، وقد أخبرنا النبي ﷺ بما سيؤول إليه حالنا فقال: ((يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)). فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ)). فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: ((حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) (84).

وحالة الوهن والضَّعف التي تعيشها الأمّة اليوم قد أغرت أعداء الإسلام الذين كانوا يتربّصون بها الدوائر فاغتنموا الفرصة واحتلوا البلاد وامتلكوا أزمّة العباد، وغَدَتْ مقاليد أمور المسلمين بأيدي أعدائهم يقرّرون مصائرهم، ولا سيما والأعداء يتحكمون في مؤسسات صنع القرار العالمي وللأسف الشديد لم يَرَ بعض أبناء جلدتنا بأسا في أن يكونوا معاول هدم بأيدي أعدائنا وسلاحا يوجهونه للقضاء على ما تبقى من مقومات المسلمين

ولكن – ومع كل ذلك الكيد والمكر – يجب ألا يصيبنا اليأس القنوط وتتملّكنا الهزيمة النفسية، بل يجب أن نكون على ثقة بأن الأعداء مهما كادوا لهذا الدين وللمؤمنين به، ومهما مكروا به وبهم فلن يفلحوا؛ لأن الله لهم بالمرصاد وسيجازيهم الله على كيدهم بكيد متين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: 15 – 17] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182 – 183] وتلك سُنّة إلهيّة ثابتة، قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 26]

وقد أرشدنا القرآن الكريم في العديد من الآيات إلى الأساليب المثلَى في التصدِّي لأولئك الأعداء، والوسائل الناجعة للوقايةِ من كيدهم، ومنها: وحدة الصفّ وجمع الكلمة واعداد القوة اللازمة لردع العدو

والتصدي له امتثالا لأمر الله القائل: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:46] والقائل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60] وأخبرنا تعالى بأن كيدهم ضعيف فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] وأين يذهب كيد أولياء الشيطان أمام تأييد الله لعباده المؤمنين الصابرين، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ آل عمران: 120] فأمام الصبر والإيمان الصادق تنهار جميع الحيل والمكائد، وتفشل جميع المؤامرات والخطط، وهذان العاملان من أهم عوامل التأييد والنصر والمعيّة والمدد الإلهي، لذا فمهما قَوِي الباطل واستطال، ومهما جمع الأعداء من عدّة وعتاد، فينبغي أن يبق الإيمان أقوى وأعلى، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران:173 – 174]، ولنكن على ثقة من تحقق وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد بقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47] ولقد أجاد الشاعر في وصف أساليب كيد الأعداء وسبل الوقاية منها حيث قال:

كفاية الله خيرٌ مِن توقّيـــــنا وعادة الله في الماضين تكفينا

كاد الاعـادي فلا والله ما تركوا قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا

ولم نَزَد نحن في سرٍّ وفي عَلَن على مقالتنا يا ربنا اكفينا

فكان ذاك وردّ الله حاسِـــــدَنا بغيظه لم ينل تقديره فينا[85]

وهكذا نجد القرآن الكريم يُبَصّرنا بحقيقة الصِّراعِ المستمر بين الحق والباطلِ، بين المسلمين وبين قوى الكفر التي اجتمعت مع اختلافِ مِلَلِها ونِحَلِهَا، وتعاونت مع تعدد لُغَاتِهَا وأجناسِها وأهدافها وغاياتها، واحتشدتْ مع تنوُّعِ أساليبِها وَخُطَطِها من أجل الكيدِ لهذا الدينِ والتربُّصِ بهذه الأمّة والقضاء عليها[86]، فيبدأ بدفع ذلك السلاح المسموم الذي سَلَّه أعداء الإسلام للكيد لهذا الدين فينفي الشبهات والشكوك التي يلقونها، ويُحذّر المسلمين من كيدهم، ويكشف لهم نواياهم وأساليبهم وحقدهم وحسدهم، ويبيّن لهم

هزال أعدائهم من أولياء الشيطان وضعف كيدهم، ثم يأخذ المسلمين بالتثبيت على الحق الذي هم عليه ويقنعهم بحقيقتهم وقيمة العقيدة التي يحملونها ويدافعون عنها، ويبشّرهم بالنصر والتمكين.

لذا فحريّ بالعلماء والمفكّرين والدُّعاة أن يدركوا خطورة ما تتعرّض له أمّتهم من حرب شعواء وكيد ومكر في مختلف المجالات، وفي مقدّمة ذلك عقيدة الأمّة وقِيَمها وأخلاقها، ويقوموا بواجبهم في توعية الناس وتبصيرهم بتلك المخاطر المحدقة بهم وبدينهم، وارشادهم إلى سُبُل الوقاية منها وكيفيّة التصدّي لها وفق ما أرشد إليه القرآن، وبذلك تتكون حصانة فكرية لدى أمة الإسلام فيصعب اختراقها، ويقف الجميع صفّا واحد في مواجهة الأعداء.

المطلب الثاني: التحذير من الكيد وبيان عاقبته:

لقد حذّر القرآن الكريم – وهو يتناول هذه الظاهرة – من أهل الكيد من الكفار والمشركين والطغاة، وكشف أساليبهم الماكرة ومخطّطاتهم الكيديّة في محاربة الدِّين وحَمَلَتِه، وبيّنت الآيات كيف كانت عناية الله تحوط أنبيائه وعباده المؤمنين بالحفظ والتأييد والنصر، ولدينه بالتمكين، وكيف باءت جميع مكائد الأعداء بالفشل، حيث جازاهم الله على كيدهم بالهلاك والدمار في الدنيا، والوعيد بالعذاب الشديد في الآخرة، وفيما يلي ذكر بعض تلك العقوبات

أولاً: العقوبات الدنيوية: لقد جازى الله الكفار والمشركين على كيدهم للأنبياء والرسل ولِمَا جاءوا به من الحق بأنواع العقوبات، ومنها:

– **الهلاك والدمار:** فقد أهلك الله كثيرا من الأمم الذين قصّ علينا من أخبارهم، جزاء شركهم وكفرهم وكيدهم للأنبياء والرسل ولِمَا جاءوا به من الحق، والآيات في ذلك كثيرة تقدّم ذكر العديد منها في المبحث الثاني.

– **استدراج الله تعالى للمكذبين بالآيات التي أيد الله بها رسله** وإمهالهم ثم أخْذُهم على غفلة قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182 – 183]

– **إبطال كيد الكافرين واضعافه بنصر المرسلين وإظهار الدين:** والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد ذكرنا منها في المبحث الثاني كيف أهلك الله قوم هود، وما حل بنمرود وقومه حينما كادوا لإبراهيم وحاولوا التخلّص منه ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70] وكيف نجّا الله يوسف من أنواع الكيد التي تعرّض له منذ نعومة أظفاره، وكيف جعل كيد فرعونَ وقومه في تباب وضلال: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 37] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 25]، وتأتي البشرى للمؤمنين بالنصر، وبأن الله مضْعِف كيد الكافرين في الحال وفيما يستقبل من الزمان، بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 17– 18] ولَمّا لاحت بوادر النصر لركب الإيمان اغتاظ كفار قريش ولكن ليس بأيديهم حيلة لمنعه أو الحيلولة دون وقوعه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15]

وفي ذلك تنبيه للمؤمنين ألاّ ييأسوا مِن نصر الله لهم مهما اشتدت عليهم المحن وتكالب الأعداء في الكيد لهم.

ثانياً: العقوبات الأُخروية: لقد بيّنت كثير من الآيات ما سَيَحِلّ بالكفار من العذاب الشديد في الآخرة، ومنها ما تم ذكره في المبحث الثاني، ولَمّا بيّن الله أن مكائد الكفار لم تنفعهم في الدنيا، بيّن أيضا بأنها لن تنفعهم كذلك في الآخرة، فقال: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ. يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: 45 – 46] وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق، أي: لا ينفعهم كيدهم يوم الموت، ولا يمنعهم من العذاب مانعٌ [87] وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ. فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: 38 – 39] يخبرنا اللهُ في هذه الآية بما سَيَحلّ يوم القيامة بالكافرين من أمة محمد ﷺ الحريصين على الكيد لهذا الدين وللمؤمنين به، والذين سبق الكلام لتهديدهم، وهم المكذبون بالقرآن، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أي: إن كان لكم حيلة في دفع العذاب عنكم

فاحتالوا لأنفسكم وقاوُوْن، فإنَّ جميع مَن كنتم تُقلدون وتقتدُون بهم حاضرون معكم، وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا، وإظهار لعجزهم هناك، وهذا من العذاب النفسي وهو أشد إيلاما من العذاب الجسدي [88]. وفي ذلك عزاء وتسلية للمؤمنين في كل زمان لِمَا يلاقون من كيد أعدائهم ومكرهم بهم وبدينهم، وعبرة للمعتبرين.

المطلب الثالث: ضرورة الاعتبار بمصير السابقين:

لقد نبَّهَنا اللهُ إلى أهميّة السير في الأرض والكشف عن مصير الأمم السابقة التي كَذّبت بالرُّسل ومَكَرَت بهم وبما جاءوا به من الآيات البينات فاستحقّوا العذاب، وتلك سُنّة إلهيّة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، أمّا إن إهلاك الكافرين والظالمين سنة إلهية فمقرّر في قوله تعالى: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: 43].

وأما الدعوة إلى السير في الأرض والكشف عن مصير الأمم السابقة والاعتبار بما حَلّ بهم من العذاب ففي العديد من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: 21 – 22] ومعنى (فينظروا) أي: نظر اعتبار ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2] وتتكرر تلك الآيات والمشاهد في القرآن تدعو الناس للنظر والتأمل في مصير الغابرين من الكفار والطغاة وأخذ العظة والعبرة، فالعاقل من اعتبر بغيره قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف:111]، وليحذروا من الوقوع فيما وقع فيه أسلافهم حتى لا يصيبهم ما أصابهم، ويلمح المؤمن منها تثبيتاً لفؤاده وطمأنة لقلبه، وهو يرى آثار قدرة الله تصيب الكافرين وتهلك الظالمين على قوّتهم وكثرتهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ. ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ. كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات 16-18][89] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 1 – 5]

لذا فلا تغُرّنك قوّة الباطل ولا صولته، فإنه لا يعجز الله تعالى القائل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: 4 – 5].

وما أحوج الداعية المسلم اليوم أن يتدبّر تلك النماذج الإيمانية وسيجد فيها العزاء لِمَا يلاقيه من مشقّة وأذى، وإذا كانت سنة الله في أنبيائه ورسله أن يتعرضوا للتكذيب ولأذى وهم أكرم الخلق على الله، فمن باب أولى أن يلاقي دعاة الهدى صنوفاً من الأذى وسيجدون معيّة الله تصحبهم وترعاهم، وكل ما يلاقونه ابتلاء واختبار.

الخاتمـــــة:

بعد الطواف في رحاب آيات الكيد موضوع البحث، يمكن أن نستخلص العديد من النتائج والتوصيات أهمّها ما يلي:

أولا: النتائج:

1- الكيد: هو إرادة مضرة الغير خفية، وهو مِن الخَلْقِ الحِيلة السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخَلْق

2- من كاد كيدا محرما فإن الله يكيده ويعامله بنقيض قصده وبمثل عمله، والمؤمن المتوكل على الله إذا كاده الخلق فإن الله يكيد له وينتصر له بغير حول منه ولا قوة.

3- يجب تعزيز أثر العقيدة الاسلامية في نفوس المؤمنين، وبأن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى يوم القيامة والمنتصر هو الحق، ومهما كاد الأعداء فإن كيدهم ضعيف وفي ضلال وخسران، والله من ورائهم محيط.

4- الحذر من مكائد الشيطان ومن اتباع خطواته فعداوته للإنسان لا تنتهي، ولا يألو جهدا في إغواء الناس وإضلالهم، وهذا يستدعي الالتجاء إلى الله تعالى بدوام الذّكر والاستغفار والاستعاذة من الشيطان.

5- على المؤمن أن يُسَلِّم لله تعالى ويرضى بالذي يقدّره بعد أن يستقصي كافة الأسباب المباحة والمتاحة التي تتطلب منه، وبهذا يعصمه الله من الفتنة واليأس اللذين يعصفان بالنفوس عند احتدام المحن والفتن الهوجاء.

6- الابتعاد عن الحسد فإنه داء وبيل يدخل الشيطان من خلاله، ويصل بصاحبه إلى نتائج لا تحمد عقباها.

7- الحذر من مكائد أعداء الاسلام الهادفة إلى اثارة الفتن والخلافات بين المسلمين وتفريق وحدتهم.

8- أهمية الصبر والتقوى في الوقاية من كيد الأعداء ومكرهم، فأمام الإيمان الواثق تنهار جميع المؤامرات.

9- عدم موالاة الكفار والمشركين، وعدم الركون إليهم أو اطلاعهم على أسرار المؤمنين مهما أظهروا من الود.

10- ضرورة كشف أساليب كيد الأعداء ومخططاتهم وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين ليحذروهم.

ثانيا: التوصيات: يوصي الباحث بالتالي:

1- ضرورة تربية النشء تربية إيمانية بحيث يعتزّون ويفاخرون بانتمائهم للإسلام، ويدافعون عنه وعن قِيَمه ومبادئه.

2- متابعة وسائل إعلام العدو وبيان ما فيها من كذب وافتراء، وما تهدف إليه من تشويه الدِّين وزعزعة القيَم والأخلاق النبيلة، ومن اخافة الناس والقاء الرُّعب والإحباط واليأس في قلوبهم.

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخراً لنا ولوالدينا يوم نلقاه، وأن يقينا وجميع المسلمين كيد الكائدين ومكر الماكرين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قائمة المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

- ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد: المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1404هـ.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي: غريب الحديث، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.
- ابن حبان، محمد بن حبان: السيرة النبوية، تحقيق: عزيز بك، وآخرون، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1417هـ، 257/1.
- ابن زكريا، المعافى: الجليس الصالح والأنيس الناصح، (بدون بيانات نشر)
- ابن عادل، عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (ط،ت: بدون) 1997م
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد: البحر المديد، دار الكتب العلمية . بيروت، ط2، 1423هـ/2002 م.
- ابن العدوي، مصطفى: سلسلة التفسير، وهو عبارة عن دروس صوتية عددها (110 درسا) [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس]
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (ط: بدون) 1979/1399م
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين، دار الجيل، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، (ط: بدون) 1973م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ/ 1975م
- ابن كثير، اسماعيل: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1394هـ/ 1974م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (ت، بدون).
- الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986م
- أبو السعود، محمد بن محمد: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط، ت: بدون).

- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى: أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.
- أرشيف ملتقى أهل التفسير، نسخة الكترونية، ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني
- أرشيف ملتقى أهل الحديث، نسخة الكترونية، ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2، (ت: بدون).
- الآلوسي، محمود بن عبدالله: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط،ت: بدون).
- البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م.
- البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ-1997م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط،ت: بدون).
- التونسي، محمد خليفة: بروتوكولات حكماء صهيون، بتقديم العقاد، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار مصعب، بيروت، ط1، 1968م.
- الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 1405هـ
- الحلبي، السمين: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (نسخة الكترونية بدون بيانات نشر).
- الدامغاني، الحسين بن محمد: اصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1983م
- دواوين الشعر العربي على مر العصور، (نسخة الكترونية، موقع أدب، بدون اسم، أو بيانات نشر).
- الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1997م.
- الراغب، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط الأخيرة، 1381هـ-1961م.
- الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط، ت: بدون).
- السجستاني، أبو داود سليمان: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (ط،ت: بدون).

– الشحود، علي بن نايف: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– الشحود، علي بن نايف: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر)

– الشحود، علي بن نايف: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– الشحود، علي بن نايف: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– الشحود، علي بن نايف: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– الشربيني، محمد بن أحمد: السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت (ط،ت: بدون).

– الشرقاوي، د. أحمد محمد: الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية "، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، بجامعة الشارقة 1428هـ.

– الشرقاوي، د. أحمد محمد: نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، بحث مقدم إلى المؤتمر الاسلامي العالمي المنعقد في الجامعة الإسلامية بماليزيا 1427هـ – 2006م.

– الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، (بدون بيانات نشر).

– الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان (ط،ت: بدون) 1415 هـ/1995م

– الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، تحقيق: علي محمد عمر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396هـ.

– الشيباني، أحمد بن حنبل: المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، (ط، ت: بدون).

– الصالح، عبدالرحمن بن عبدالله: التنصير (تعريفه أهدافه وسائله، حسرات المنصرين) دار الكتاب والسنة، ط1، 1420هـ/1999م.

– الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م.

– طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، (نسخة الكترونية، موقع التفاسير، بدون بيانات نشر).

– عبود عبدالله، وزهران زهران: دلالات مصطلح الكيد في القرآن الكريم، مجلة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2017، مجلد31

– العسكري، الحسين بن عبدالله: الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط: بدون) 1401هـ

– العليمي، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس نباتة، مكتبة دنديس، عمّان، (ط: بدون) 1420هـ/ 1999م.

– قبش، أحمد: مجمع الحِكَم والأمثال، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– قطب، سيد: في ظلال القرآن، (نسخة الكترونية، موقع التفاسير، بدون بيانات نشر).

– القلعي، أبو عبدالله: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف، ومصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن، ط1، (ت: بدون).

– الماوردي، علي بن محمد: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط،ت: بدون)

– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بحوث ودراسات في اللهجات العربية، (ط،ت: بدون).

– مشرح، د. محمد: مع أغلى كتاب (جولات في سورة يوسف) (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

– النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط،ت: بدون).

– هارون، عبدالسلام: تهذيب سيرة ابن هشام، (نسخة الكترونية، موقع الوراق، بدون بيانات نشر)

– الهيثمي، أبو بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، (ط، بدون)، 1412هـ،

الهوامش:

(1) بحوث ودراسات في اللهجات العربية، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة 11/14 (بدون بيانات نشر).

(2) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبان، ط1، ت: بدون، 383/3 (كيد)، وابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط، بدون، 1399هـ/ 1979م، 149/5.

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار مصعب، بيروت، لبنان، ط1، 1968م، ص: 28.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج بن عبدالرحمن: غريب الحديث، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، 306/2.

(5) ابن زكريا، المعافى: الجليس الصالح والأنيس الناصح، (بدون بيانات نشر) 259/1.

(6) انظر: الراغب، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة الحلبي، مصر، ط الأخيرة،1381هـ/1961م، ص:1274.

(7) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (ط: بدون)، 1997م، 268/30.

(8) البيت في: الحلبي، السمين: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (بدون بيانات نشر) 912/1.

(9) ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، 322/5 رقم 19784.

(10) انظر: ابن منظور: لسان العرب 383/3 (كيد) والمعنى: أرادَتْ وأردْتُ.

(11) ابن أبي شيبة، المصنف 322/5 رقم 19784.

(12) الأصفهاني، أبو الفرج: كتاب الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر – بيروت، لبنان، ط2، ت: بدون، 50/18.

(13) ابن الجوزي: غريب الحديث 306/2.

(14) انظر: ابن منظور: لسان العرب 383/3 (كيد).

(15) انظر: الدامغاني، الحسين بن محمد: اصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1983م، ص: 411-412.

(16) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، ص: 241.

(17) الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي (بدون بيانات نشر) 5904/1.

(18) هارون، عبدالسلام: تهذيب سيرة ابن هشام، (نسخة الكترونية، موقع الوراق، بدون بيانات نشر) ص: 194 – 195، وهذا يصوّر مثلاً من حياة الرسول القائد ﷺ، حيث كان أي فرد من أصحابه يُدلي برأيه حتى في أخطر القضايا، وهذه من صفات القائد الناجح.

(19) ابن حبان، محمد بن حبان: السيرة النبوية، تحقيق: السيد عزيز بك، وآخرون، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1417هـ، 257/1، وأنظر: عبود عبدالله، وزهران زهران: دلالات مصطلح الكيد في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2017م، مجلد 31، ص 1622-1623.

(20) القلعي، أبو عبدالله: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف، ومصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن، ط1، (ت: بدون)، ص: 142.

(21) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، في كتابيه: إعلام الموقعين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1973م، 219/3–222، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقّي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1975م، 117/2-120 (بتصرف واختصار).

(22) انظر: الراغب: مفردات غريب القرآن ص: 471.

(23) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير 192/9 – 193، والعسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله: الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط، بدون) 1401هـ، 214/1.

(24) انظر: العسكري: الفروق اللغوية 214/1.

(25) البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة 1102/3 رقم2866، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ/1987.

(26) وجاء تسميتهم في القرآن بـ (عاد الأولى) و (عاد إرم)، وكانوا عربا جبّارين طوال القامة يسكنون الاحقاف في حضرموت باليمن، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح. أنظر قصتهم في: (ابن كثير، اسماعيل: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1394هـ/1974م، 137/1 – 138، والعليمي، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان نباته، مكتبة دنديس، عمّان، (ط،ت: بدون) 1420هـ، 44/1).

(27) صحيح البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل القرآن 1905/4 رقم 4696.

(28) أنظر تفصيل قصة هود عليه السلام مع قومه في: (ابن كثير: البداية والنهاية 137/1 – 146).

(29) والقرآن الكريم لم يُسمِّ الملك الذي حاجّ إبراهيم في ربه؛ لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجّة والعبرة منها، واسم الملك لا يغير من العضة والعبرة في شيء، وقد ذكر بعض المفسرون بأنه "نمرود" (انظر: الشحود، علي بن نايف: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، (بدون بيانات نشر) 159/5).

(30) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير 97/17 – 98.

(31) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م، 71/21.

(32) انظر: الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام 1/ 102.

(33) ابن حنبل، أحمد: المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، (ط، ت: بدون)، 263/1 رقم 2669.

(34) انظر: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ، 179/4، والبغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ/ 1997م، 408/2.

(35) مشرح، د. محمد: مع أغلى كتاب (جولات في سورة يوسف)، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

(36) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء 600/4 رقم 2396، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط، ت: بدون) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(37) انظر: الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، تحقيق: علي محمد عمر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396هـ، 8/3، وأبو السعود، محمد بن محمد: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط،ت:بدون)، 253/4.

(38) انظر: الشحود، علي بن نايف: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، (بدون بيانات نشر) 282/1.

(39) الهيثمي، أبو بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب كتمان الحوائج 357/8 رقم 13737عن معاذ ﷺ. دار الفكر – بيروت، (ط:بدون)، 1412هـ، والحديث فيه مقال، وعزاه الهيثمي إلى الطبراني في الثلاثة، وقال: فيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلى: لا بأس به، وكذّبه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ

(40) انظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، (نسخة الكترونية، موقع التفاسير، بدون بيانات نشر) 4/ 303.

(41) دواوين الشعر العربي على مرّ العصور (نسخة الكترونية، موقع أدب، بدون اسم، أو بيانات نشر) (87 / 303).

(42) قبش، أحمد: مجمع الحِكم والأمثال، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر).

(43) انظر: الآلوسي، شهاب الدين: روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط، ت بدون) 224/12، والشربيني، محمد بن أحمد: السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط،ت: بدون) 84/2، والأثر في: البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ 373/4.

(44) انظر: الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام 250/2 – 251.

(45) الشعراوي: تفسير الشعراوي 5904/1.

(46) الشنقيطي، محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط،بدون) 1415هـ/ 1995م، 32/13.

(47) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، بيروت، (ط،ت بدون) 582/1، والآلوسي: روح المعاني 224/12.

(48) انظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير، (نسخة الكترونية) ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

(49) انظر: العدوي، مصطفى: سلسلة التفسير، 11/26، وهو دروس صوتية عددها110 درسا ورقم الجزء هو رقم الدرس، (بدون بيانات نشر).

(50) الطبري: جامع البيان 231/7، وفي الصحيحين (وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طولَ مَا لَبِثَ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِي) البخاري: صحيح البخاري؛ كتاب التفسير 1233/3 رقم 4417، والنيسابوري، مسلم ابن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الفضائل 1839/4 رقم 151، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، احياء التراث، بيروت، (ط،ت، بدون)

(51) الماوردي، علي بن محمد: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط،ت: بدون) 47/3.

(52) الزمخشري: الكشاف 451/2 – 452.

(53) الشنقيطي: أضواء البيان 32/13، وانظر الحديث في مسند أحمد 309/1 رقم 2822، قال عنه شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن.

(54) ابن الجوزي: زاد المسير 212/4.

(55) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1997م، 444/18.

(56) انظر: الشنقيطي: أضواء البيان 8/13 – 12.

(57) دواوين الشعر العربي على مر العصور 350/11.

(58) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير 32/13.

(59) ابن عاشور: التحرير والتنوير 247/16 – 248.

(60) الراغب: مفردات القرآن 637/1، والبيت لذي الإصبع العدواني شاعر جاهلي وهو في كتاب الأغاني للأصفهاني 102/3.

(61) ابن عاشور: التحرير والتنوير 256/16.

(62) انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث، (نسخة الكترونية) ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

(63) انظر: الرازي: التفسير الكبير 74/22، والشربيني: السراج المنير 371/2.

(64) الزمخشري: الكشاف 77/3.

(65) الشعراوي: تفسير الشعراوي 5716/1.

(66) انظر: ابن عجيبة: البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ/2002م، 456/6، والشربيني: السراج المنير 569/3.

(67) انظر: الزمخشري: الكشاف 599/4.

(68) البيهقي: شعب الإيمان 4/ 128 رقم 4540، ونحوه في مسند أحمد 145/4 رقم 17349، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(69) انظر: طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط، 1/ 4567- 4568 (نسخة الكترونية، موقع التفاسير، بدون بيانات نشر).

(70) انظر: الزمخشري: الكشاف 417/4.

(71) العسكري: الفروق اللغوية ص: 230 - 231.

(72) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير 298/9.

(73) انظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي 5995/1 – 5996.

(74) انظر: الشحود، علي بن نايف: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (بدون بيانات نشر) 6/ 48، والصالح، عبدالرحمن: التنصير (تعريفه أهدافه وسائله، حسرات المنصرين)، دار الكتاب والسنة، (بلد النشر: بدون) ط1، 1420هـ 1999م، ص: 14.

(75) انظر: الصالح: التنصير ص: 32.

(76) خليفة، محمد التونسي: بروتوكولات حكماء صهيون، بتقديم العقاد (بدون بيانات نشر) ص: 3، وانظر: الصالح: التنصير ص: 32.

(77) الشحود، علي بن نايف: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، (بدون بيانات نشر) 67/2، نقلا عن صفحة الغلاف الأخير من كتاب أحجار على رقعة الشطرنج، لمؤلفّه وليام غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي.

(78) انظر: الصالح: التنصير ص: 96.

(79) الشحود، علي بن نايف: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، (نسخة الكترونية، بدون بيانات نشر) 17/13.

(80) انظر: الشرقاوي، د. أحمد محمد: الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية " بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، بجامعة الشارقة 1428هـ، ص: 32 – 33.

(81) الصالح: التنصير ص: 54، نقلا عن حقيقة التبشير والاستعمار ص: 165.

(82) صدر ذلك الكتاب علنا في أمريكا عام 1999م عن دار "واين بريس" و "أوميجا"، وكُتِب باللغة العربية ثم ترجم إلى اللغة الانجليزية، والكتاب يقع في (368 ورقة) ويتألف من سبعة وسبعين موضوعا، مع مقدمة وخاتمة، كل موضوع جُعِلَ تحت اسم خاص، وبعضها سُمّي بأسماء سور قرآنية، ولقد فنّد عدد من الأكاديميين والباحثين كثيرا من الشُّبه والمطاعن التي جاءت في ذلك الكتاب، ومنهم: د. صلاح الخالدي في كتاب له صدر عام 1426هـ

باسم: الانتصار للقرآن، تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن" (انظر: ارشيف ملتقى أهل التفسير، نسخة الكترونية، ضمن المكتبة الشاملة الاصدار الثاني)

(83) انظر: الجزائري، أبو بكر: أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط5، 1424هـ/2003م، 368/1.

(84) السجستاني، أبو داود: سنن أبي داود، 184/4رقم 4299، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت (ط،ت: بدون) قال الألباني: صحيح

(85) الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986م، 457/1، والشاعر هو عبد الله ابن سليمان بن وهب.

(86) الشرقاوي، د. أحمد محمد: نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد في الجامعة الإسلامية بماليزيا 1427هـ/ 2006م، ص: 20

(87) الدمشقي، ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م، 148/18.

(88) انظر: الرازي: التفسير الكبير30/ 247، والشربيني: السراج المنير 525/4، وابن عجيبة: البحر المديد 210/8.

(89) انظر: الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام 1/ 100.